قصص البرمالة الشرقية

الأولى

الدرزية الحسناء

تاريخ اجتماع مبادئ

بقلم

السيد حنا ابي راشد

طبعت على نفقة

obeikandl.com

الاهداء وتقديم

اذا جاز للكاتب الغربي ، أن يهدي أحدى مؤلفاته القيمة ، لعلم من الاعلام العلماء . فقد جاز للرحالة الشرقي ، أن يرفع اول قصصه التاريخية ، لرافع علمي الصداقة والاخلاق :

الدكتور احمد بك عمر

رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الرفق بالانسان بمصر

هذه هي سنة الادب الراقي ، وسنة الاجتماع الشرقي ، توأمان لا ثالث يعلوهما في الوجود ، الا سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فالى الصديق الصادق ، اقدم قلمي وفكري . . .

والى نصراء المرأة الشرقية ، أقدم الدرزية الحسناء . . .

والى نصراء الناشئة المصرية ، أقدم حلقتي الاولى . . .

وعلى بساط المؤتمر النسائي العالمي ، أطرح نتيجة أبحاثي التاريخية . . .

بنها في اغسطس سنة ١٩٣٠

جنا الى الراشد

القصة الاولى

قصة شاذة، لا فذة هي، ولا مبتذلة ، سطر القرطاس لبابها ، مداه دموع المرأة ، ولحمته أنينها ...

فكرة جديدة ، حبرت معانيها ، مداد العادات ، وسردت مواقعها ، معجزات الحوادث ، وسجلت كلماتها ، لغة الصحراء ، وجمعت شتاتها ، يد القدر والقضاء ، ورسمت خطوطها ، قطرات الدماء ، ونقشت خرائطها ، سيوف النور والنار ...

قصة لا شرقية وهمية ، ولا غربية خيالية . سراجها قلب وزيتها نور، وكنهها حب. فمن طالعها ، وجب عليه التفكير. ومتى فكرراجع. ومتى راجع تأمل. ومتى تأمل محص. ومتى محص حرر ومتى حرر نقد. ومتى نقد حرم. ومتى حرم أباح. ومتى أباح البيان بسيئة ، أجاد المنطق بحسنة . ومتى تعادلت الكفتان ، أو رجحت احداهما على الأخرى ، نطق العدل بحكمه ، ومتى نطق العدل ، تجلت الحكمة في هذا السفر ...

مصر ٧ أغسطس سنة ١٩٣٠ الرحالة

الدرزية الحسناء

قمر السويراء :

بلغ الامير يحيى الحمدان ، أمير جبل الدروز ، في فجر القرن التاسع عشر ، منتهى ما يصل اليه أمير ، من أمراء العرب ، في صحراء سوريا ، من شجاعة وشهامة وجبروت . . .

وفي تمام بدر رمضان المكرم ، من عام ١٨٢٠ . كان الامير جالساً ، في قصر نسيبه ، الشيخ يوسف الحمدان ، بنجران . والمنشدون يطربون الفرسان ، بأناشيدهم الوطنية ، الحماسية . يمدحون المجاهدين الشجعان ، الذين أبلوا بلاء حسناً ، في حرب الوهابين . ويذمون الكسالى ، المتعدين كالنساء العرائس ، فيردد الجميع ، اللازمة المشهورة عندهم :

« الله يعز بلادنا ، بجاه النبي المصطفى ، من كل ظالم وغدار »

فطرب أحدهم ، وأنشد الامير يحيى بحماس ، الابيات الآتية(١) :

---

(١) من قصيدة لابو الفضل محمد بن عباس العرماني من عرمان ناحية صرخد ، من أعمال جبل الدروز وفي صرخد وجدت صخرة اللات التي عبدها

« اصبحت علامة الدنيا باجمعها
يشد نحوك من اقطارها النجب »
« بان على كبد الجوزاء منزلة
تحفها من جلال حولها الشهب »
« ما نال ما نلت من فضل ومن شرف
سراة قوم وان جدوا وان طلبوا »

وبينما القوم، في انشراحهم يطربون، وصانع القهوة، في وسط المضافة، يوقع على المصحن انغامهم. سمع الامير وقع حوافر خيل، تقترب من القصر، فأرسل الفارس يستطلع الخبر... ولم ينتظر لحظة. حتى دخل الحادي، يحدي بصوت كله شجون، وهو يعزف على القيثارة، على وتر يحرك القلوب شوقاً. والفرسان من وراءه، كانها على جمالها، خملة بنشوة النصر... فبادره الامير بقوله: خير ان انشاء الله يا متعب، يا حادي بن معروف..

— النور بوجهك يا أمير، ابشر بحفيدة، هي قمر السويداء...

الانباط والعرب، وقلعتها شاهدة أبد الدهر على عظمة تلك البلاد. وكان منها الى بغداد طريق مرصوف مسافته عشرة أيام على الهجين. وقد طمست اثاره اليوم. راجع صفحة ٢٢ من تاريخ جبل الدروز للمؤلف.

— علامك ، افصح . . .

— في خدر، يصونه العم وابن الخال ، ابصرت حفيدة الامير نور السويداء . . .

— بارك الله في حسبها ونسبها .

— وأما الطفلة يا أمير، فقد متعها الله، بوساطة الحاكم بأمره ، بمزايا ثلاث :

الاولى — هيكل لون بشرته ، كثلج صنين «لبنان» ينعكس عليه البدر ، ليلة كماله ...

والثانية — عينان سوداوان ، يخترقان حجب القلوب ، بقوة جاذبيتهما ، ووسعتهما ...

والثالثة — جمال نوراني ، كجوهرة ، تنعكس عليها أشعة الشمس. لو وقفت بجانبها، الاهة الجمال عشتروث ، لخجلت من نفسها

— اذن ، بشر الدروز ، ياحادي بن معروف ، بفتح قريب ، ونصر اكيد ، والويل لمن يمس خلخالها ؟ ! !

فوقفت الفرسان ، وامتشقت الحسام ، واقسمت بالسر المكنون ، والكنز المدفون ، والخنجر المسنون . ان من يمسها بشر ، موتاً يموت. . .

فتهلل وجه الامير فرحا وحبوراً وقال : الى السويداء . . . الى رؤية الحسناء . . .

مهرجان الحب :

في ميدان السويداء ، عاصمة الجبل، ومقر الامير يحيى ، كان المهرجان العظيم ، الذي اقيم احتفاء بالمولودة، وابتهاجاً بانتصارات الدروز ، المتواصلة في حوران...

طافت القبائل ، حول المضارب والخيام ، والكل يمرحون ويرمحون ، برايآتهم العربية، وطبولهم البلدية ، زرافات ووحدانا . والسيوف مشهرة بايديهم ، تحركها زنودهم الشديدة ، بين لاعب ومبارز. والكهول يشعلون النار، والصبية يوزعون الماء ، والنساء يولمن الولائم ، ويعمرن المناسف . استعداداً لاطعام العشائر، الذين اموا السويداء ، بعددها وعددها ، بخيلها وجمالها ، تلبية لدعوة أميرهم .

وفي ساحة المهرجان ، أحاطت الزعماء بالامير ، أحاطة السوار بالمعصم. وعلى رأسه عمامة بيضاء، كاكليل من زهر الياسمين. ووجهه المنير ، يكسوه لحية سوداء ، يخطها الشيب . وعلى كتفه العريض،

عباءة حمراء ، مزركشة بالقصب المفضض . ومحزم بحزام من جلد، معلق فيه ، من الجهة اليسرى ، سيف مرصع بالجوهر المصقول . وفي وسطه خنجر ، قبضته من ذهب — علامة الشرف . وقد جلس في قلب مجلسه الهلالي ، كأنه المنذر بن النعمان ، تعلوه ابتسامة حلوة ، وترفعه عبارات وهبية ، سذجة . . .

وبينما كان القوم ، في فرح وحبور . كان بالوقت نفسه ، بيت الحسناء يقطر دماً ، على الفاجعة المرة ، التي أصابت ذلك البيت ، المنكود الحظ . وتحرير الخبر : هو أن والدة الحسناء ، ابت عليها نفسها ، الا النهوض من فراشها ، لتشترك مع نساء الزعماء ، في ذبح الذبائح ، وتهيئة الطعام للعشائر . التي اقبلت ، من جنوب الجبل وشماله للاحتفال بحسنائها . وذلك ، قبل أن تغرب الشمس ، على ولادتها . . . . . ومن جراء هذا الاهمال ، اصيبت كوكب ، والدة الحسناء بنوبة عصبية ، كانت شراً على حياتها ، حيث ارتفعت الحرارة بسرعة الى خط بعد الاربعين . . .

ولما كان هـذا الحادث الفجائي ، شؤماً على القوم ، في ساعة افراحهم . كتم الامر عن الامير والزعماء . وأرسل زوجها الحارس فارساً الى دمشق ، لاستحضار الطبيب ، ولـكن دون فائدة

ترجى ، حيث المسافة بعيدة ، والوسائط الصحية معدومة ، والمواصلات السلكية في الجبل ، لم تخلق بعد . لهذا لم ينتصف الليل ، حتى غاب الكوكب ، عن نظر الناظرين ، فانقلبت افراحهم اتراحا . وماتت الشهيدة، شهيدة الواجب والاهمال . وقد كان هذا الحادث ، مضرب المثل ، الى يومنا هذا :

« في الامس كان مهد وفرح ، واليوم صار لحد وترح »

اخوين في الرضاع :

اصبح الصباح ، والجو يدمع ، والنسيم يعتل ، والشمس من وراء المحيط، كسفت في كبد السماء، فامتدت أشعتها القاتمة ، كشلالا من الدماء، ينشره الهواء ، وتجذبه الارض ، الى ساحة السويداء ، لتغوص ... من عظم ذلك الكسوف ، في سويداء القلوب . . .

كوكب انتهى نوره ، بانتهاء شبح الوجود . كوكب غاب ، وكوكب سطع — ذلك صعد الى مدينة السلام ، اللانهائية . وهذا هبط الى مدينة الشقاء الفانية . هذه هي سنة الطبيعة ... والويل لمن يقف في طريقها ...

ندبت النادبات ، وسكبت العبرات ، واصطفت الصفوف ،

وانتخت الفرسان ، وعزت المعزين ، وشيعت المشيعين ، نعش الفقيدة ، الى مقره الاخير — والامير يتلقى كلمة الدروز . عظم الله أجرك ...

فيجيبهم : أجركم عند الله عظيم ...

انفرط عقد القوم ، كل الى بلده . والبعض منهم يتفاءل خيراً ، برحمة الله . والبعض الاخر ، يتشاءم شراً ، بغضب الطبيعة. تاركين اليتيمة الصغيرة ، تحت رحمة الله ، تبكي لبان أمها — أم الطبيعة — التي حرمتها من ثدييها ، لتتقمص بهما ، كاملة نامية ...

مرت أسابيع ، واليتيمة محرومة من لبان النساء ، مكتفية بلبان غنمة شقراء ، استحضرها لها ، والدها الحارس خصيصاً ... ولما تشاءم والدها ، بقساوة الطبيعة ، من عدم وجود سيدة درزية ، يمكنها أن تعيل حسناءه بالرضاع ، أراد أن يقهر الدهر — وقد جهل أن الدهر لا يقهر — فركب فرسه الحمراء ، وتوجه الى اللجاه الوعر ، يفتش على ضالته المنشودة ، بين عشائر عرب السلوط . وبعد طوافه معظم مضافات : جدل وعاصم والمسميه ومسيكه والزباير وصور الخ. توفق بأم غصوب ، شقيقة شيخ العرب. فقصد مضافة الشيخ الجليل ، بقلب كله تفاءل وأمل . وبعد أن ألقى السلام

والمصافحة . وقف الحارس ، في وسط المضافة وقال :

— أنا بوجهك ياشيخ العرب ، جئت اسلمك رضيعة ، كما استلم ، أمرؤ القيس ، الوديعة . فهل ، تمد بحياتها ، وتصونها من غدرات الزمان ...

— مرحى شيخ الدروز ، مرحى ... نحن نفديها بحياتنا ، والله العظيم ...

— والله يتيمة من الام ، لم نجد لها لبناً ، بين مخدرات الدروز ...

— ابشر ، فيتيمتك الحسناء ... هي أخت غصوب ...

— بارك الله فيك ، يا أمير العرب . والله العظيم ، أصافحك على الدم والنار ...

قرار اهوائه الصفا :

في ليلة ، من ليالي شهر أب «أغسطس» سنة ١٨٢٨ أمّ قصر نجران ، مقر الشيخ يوسف الحمدان ، نخبة من زعماء الدروز . ولم يكتمل عقد الاخوان ، حتى بدأ ، الشيخ هزيمة هنيدي ، فارس الدروز ، في ذلك العصر ، بالحديث الآتي :

— والله يا هزاع، لو عقدت نساء الدروز، مؤتمرات سرية وعلنية، وطلبن ماطلبته عصمت، لن تمكنهن، من نيل حقوقهن المتطرفة ؟.!

— كفى، يافارس بن معروف، لقد طفح الكيل. أيليق بالهنيدي، أن يجحف بحقوق المرأة. الامر الذي، لا يقبله الدين، ولا يقبله الناموس. أأنت تريد، أن تحور رسالة النساء، التي تحتم على كل درزي، الاعتراف بحقوقهن الشرعية !!!

— معاذ الله، أنا لا أريد، أن أحرم العاقلات، الصالحات، حقوقهن، وهن لا يتجاوزن عدد الاصابع. وانما اريد أن أقول: ان الست عصمت، زوجة الشيخ علي، لاتليق، أن تكون في صفوف العاقلات ؟ !!

— كيف ذلك، اليست هي اخت الرجال ؟ وهل تجد بين النساء من يضاهيها، بالشجاعة والفروسية. انسيت موقعة المجيمر؟ وموقعة ام رمان ؟..

— الشجاعة والفروسية شيء، والعقيدة شيء آخر . . .

فقاطعهما، الشيخ مجاهد وقال :

— ماذا تقصد بهذا ، ياشيخ هزيمه، اليست عصمت ، متمسكة بعقيدتها الدينية ؟

— لا اقصد هذا ، يامجاهد. ولكن الذي جعلني ، ان ارتاب في سلوكها ... موافقتها، على اراء بعض النساء الجاهلات، وخاصة تقريرهن ، بالموافقة على ارسال الفتاة مرمر ، الى مدرسة الامريكان في بيروت . والاغرب من هذا وذاك ، رغبة الجاهل والدها ؟ ؟ ؟

— مهلا ياهزيمة ، الامر ليس كما تتوهم. فالشيخ حارس والد الفتاة ، عاقل ، يعرف كيف يصون عرضه . فضلا ، عن ان الامير ارسلان ، هو الذي قدم هذا الاقتراح ، وهو الذي سيتولى رعايتها كل مدة الدراسة . ومع ذلك ، اليس الامير ارسلان ، ذا نفوذ في لبنان ؟

— حسن ! لو كان الامر ، لايتعلق بالدروز ، لقلت : « اللي مش من ظهرك كل ماجن فرحله » ولكن الامر يهمني ، كما يهم كل درزي. اتذكر يامجاهد ، الوصية الثانية : حفظ الاخوان ...

— اذكرها، وانما فارس بني معروف، قد اهمل التوكل، وتغاضى عن الوصيتين ، السادسة والسابعة : الرضى بفعله، والتسليم لامره ...

— كلا ! لم اتغافل ، ولن اجهل السنة ، سنة العشرة مواجب:

كن لهم، في نفاسهم، واعراسهم، وجنائزهم. اجيبوا دعوتهم، اقضوا حاجاتهم . . . . فقاطعه هزاع الهزاع وقال :

— انصروهم ولا تخذلوهم . وهي الاخيرة اليس كذلك ؟..

— اسمع ياسيد بني هزاع . اليست مدارس الاجانب معادية للعقائد الدرزية ؟

— هذا امر، صار في خبر كان ...

— كيف هذا ؟

— تقول كيف هذا ! والعقيدة الدرزية، امنع من عقاب الجو ...

— مالنا ولهذا، الا تخاف، على فتاة جميلة، تسرح وتمرح، في مدينة، دب فيها، مايسمونه مدنية غربية ...

— افرض ! ولكن هذا، يتعلق برأي الاخوان ...

— اذن، تفضلوا الى الخلوة .....

وبعد ساعتين، من اجتماعهم، اعلن شيخ العقل، القرار السري وتبليغه، الى الشيخ حارس، شفويا . وهذا هو بحرفيته :

بما ان العقيدة الدرزية، لاخوف عليها من المدنيات، الغربية الجامحة ...

وبما ان المحافظة ، على العرض والمال ، حتى التضحية . هما ضالة كل درزي ..

وبما ان العلم ، اصبح في هذا العصر ، كنه المخدرات .

وبما ان دم الدرزي للدرزي — اينما حل ورحل — جوهر العقيدة ؟؟؟

لذلك ، نصرح للشيخ حارس ، بارسال فتاته ، الى لبنان ... والامير ن ارسلان ، اعلم بصالح الفتاة ورعايتها ...

« اخوان الصفا »

اول الحب قطرة :

رضعت الفتاة ، الملقبة بالدرزية الحسناء ، لبان غانية ، من اشرف غانيات العرب . وترعرعت في المضارب والخيام ، بين زينات البدو والحضر . ناهيك عن درسها ، معابر الجبل وخربه ، ووعرة اللجاه ، وحصونها الطبيعية ، التي دحرت على اقدامها ، اعظم الفاتحين ، لوحشة مسالكها . ولم تتلق من صحراء ، جبل الدروز المحرقة ، الا ركوب الخيل والفروسية . صحبة غصوب ، اخيها في الرضاع ، الذى كان يكبرها بعامين . وهي لم تتجاوز

الثامنة من عمرها . فضلا ، عن بعض العادات والعقائد ، التي تلقتها ، من صديقة امها ، عصمت . واما الحلم والشهامة واباءة النفس ، فقد شربت كنهها مع اللبن ، من ام غصوب ، امها في الرضاع .

نمت اغصانها ، وتكونت محاسنها ، وبرزت نهودها ، وزادت معارفها ، وتوسعت مداركها ، فكبرت نفسها . حتى اصبحت في المدرسة والمنزل ، فاتنة المتمدنين ، برشاقتها وخفة روحها ... كما كانت في الصحراء ، بهجة الفرسان والقرويين ، ببساطتها وذكائها الفطري . ولم تخلو ، من زميلات لها طالبات ، اللواتي اصبحن يتطلعن الى نمو طلعتها ، يوما فيوما . والحسد يدب في عروقهن ، فيملأ قلوبهن شراً ...

. . . . . .

وفي ذات يوم ، من ايام ، فصل الربيع الجميل ، وقد تربعت الشمس في افقها . خرجت الحسناء من المدرسة ، واعتلت ظهر جوادها ، وعرجت به ، نحو منارة بيروت ، قصد النزهة قليلا ، او ملاقاة احد اصدقائها الشبان . ثم العودة الى سراي الامير ارسلان عادة اتبعتها ، بعد ظهر كل سبت ، وفي صباح كل احد ، عند فراغها من المدرسة . ولم يستقيم طريقها ، حتى همزت جوادها

الحديدي ، فصار ، يعدو بها في طريق المنارة ، كالغزال الشارد يفر من مطارديه . هذا والشمس ترسل وهيجها الاوار ، على وجهها السافر ، فتصبغه ارجوانيا . وتزيده جمالا على جمال ، حلتها البيضاء وشعرها الذهبي ، الطويل الوهاج ، المسترسل على ظهرها ، والرياح تتلاعب به ، وهي رامحة . مما يجعلها حورية ، من حوريات الجنة ، يسرحن ويمرحن ، في ميدان الحرية والسعادة ...

ولم يصل بها الجواد ، الملقب بمرجان ، الى الطريق المؤدى ، الى الشاطىء . حتى وقفت على قمته ، واخذت تجول ، بانظارها النورانية ، كأن البحر المتوسط ، وشواطئه الرملية ، طوع سلطانها . باحثة عن شيء يشغل بالها ، او ظل تأوي اليه ، لتشفى حر اللهيب ، المتأجج في صدرها كالبركان ، قبيل انفجاره . ولم يطيل بها المكوث ، حتى لمحت ، او ظنت ، انها لمحت ، شخصاً يشير اليها بمنديل . فأشارت الى الجواد ، بمهماز معلق بسرج ، مصاغ بالذهب ، الخالص فنزل بها الهوينا ، كأنه عرف المقر ، الذي تقصده ...

وهناك ؟ في وسط البحر ، قلب يتصل بلسان الى اليابسة . وهي بقعه رملية ، سياجها الصخور والتلال ...

وهناك ؟ عند تكسر الامواج ، الفضية البيضاء ... وقف

كيوبيد باسما ، يرشق سهامه ، في سويداء القلوب ، ليجعلها أسيرة الحب ؟ دامية ...

والى هناك ، قصدت الحسناء ؟!!!

وهناك ؟ ينتظرها شاب ، جميل الطلعة ، بهي المنظر ، خلاب المحاسن، لايتجاوز العشرين ربيعاً من عمره، يلوح على وجهه ابتسامة لطيفة ، يعلوها مخايل الشجاعة والجلال ، مرتد بقفطان من الحرير الشامي ، يكسوه جبة بنفسجية ، من الجوخ الرفيع ، وحزام من الحرير اللبناني، معقود على صدره ، كوردة الربيع ، وملتف بشال من الكشمير العجمي، وعلى رأسه، الطربوش الابراهيمي المصري — رمزاً لوطنه : وادي النيل المقدس

وهناك تقابلا : وجها لوجه ؟ لا سلام ولا كلام . اشتبكت الايدي بالمصافحة ، ولم يجسر أحدهما أن يفاتح الآخر ...

صمتا طويلا ... ولكن القلوب لم تصمت . بل كانت: مناجاة وكانت: عبارات، وكانت : نبضات — تطرب القلب ، كأنها آلات موسيقية ، يوقع على أوتارها ، نشيد الحب والهيام . عشرة دقائق فعشرين . والمشابكة ، هي المعبر الوحيد ، عن ارتباطهما ، روحياً . وضع الشاب يده اليسرى، على كتفها . وقادها الى مقعد ، في وسط

الصخور ، لتقيهما الرقيب البشري ... والجواد الحديدي ، لم يزل لجامه ، بيد الفتاة اليسرى ...

جلسا بصمت ، ونظراتهما ، تخترق سويداء قلوبهما . ملكت الفتاة ، لب الفتى . بجاذبية عينيها ، التي مست حواسه الخمس. فأصبح كالعصفور ، المذبوح قليلا . لايعلم ، ماذا يصنع بالكهرباء ، الذي دب في عروقه ، ليتقيه . ومثله : كمثل السابح في الاوقيانوس العظيم ؟ لا يدري ، أي الشواطىء ، أقرب اليه ...

وفي هذا الاجتماع ، بدأت الصداقة ، تتحول عن طريقها ، الى ناحية اخرى ، من الحب والهيام ...

ظهرت بوادر من الشاب ، جعلت الشابة ، في مأزق حرج ، فخافت العاقبة . فكرت طويلا ، وتأملت بعقل ، الى أن ملكت عواطفها. وبعد أن ملكت عواطفها ، اخضعت بارادتها... اله الحب ، وجعلته ، ملك سلطانها ، تسيره كما تشاء ... وبهذه الارادة الفولاذية ، حلت عقدة لسانها ، وخاطبت حبيبها ، ببسالة ، مقرونة بصراحة ، لم يتعودها الشاب منها ، من قبل :

— أول الحب قطرة ياعزيز ...

— نعم ، ثم ينهمر يامرمر ...

تخاطبا في هـذه المرة ، دون كلفة ، كانهما ، قطعا مراحل واسعة ، في صحراء الحب ... ثم قالت :

— كيف هذا ياعزيز ؟ وقد مر عام ، وهذا العام . وقلوبنا لم تزل ، حافظة على العهد ، عهد ..

— عهد الحب الشريف يا مرمر ...

— هذا لاشك فيه ، وكلانا يدرك ...

— يدرك المسؤلية العظمى ، أليس كذلك ؟

— ولـكن ؟ ...

— ولـكن لا . أنا أدرك ، مايجول في صدرك ، يامرمر ... وهذا الدرس ، قد أخذته عنك !

— لا . لم تعرف بعد ، ما يجول في صدري ياعزيز ...

— لابأس ؟ القي علي درساً آخر ؟ يازهرة قلبي ...

— جئت لأودعك ؟!!!

اضطرب الفتى من كلمتها ، التي أجمدت الدم في عروقه : وشعر كحربة ، اخترقت صدره ؟ بيد لاترحم ... وبعد صمت قليل تمكن من توجيه كلمته ، الى مالـكة لبه :

— مرمر . ماذا تعنين بوداعك هذا ؟ ألا تعلمين ، أن لفظة

الوداع ، في قاموس المحبين ، قساوة ، ولوعة ، فوحدة ... لا بل سحق ... فموت ...

— خفف عنك ياعزيز ... وكن بطلا ... فالامر هو أشد مما تتصور ...

— أشد مما اتصور ... أشد مما أتصور ... كيف. كيف ...

— مهلا... سأضرب لك مثلا ، وأنت تضرب لي مثلا آخر . فمن كان مثله أعلى ، كان له ، السلطان المطلق، على الآخر ...

— أنا جاهل .. أنا أعمى .. أنا أمي .. لا أعرف أمثال ولا أعرف وداع ... علمي ... أمثالي ... حياتي ... هو أنت ... أسمعت ؟ هو أنت ...

— عزيز ، هدىء روعك قليلا ، واسمع ما أقصه عليك !

— قولي ما تشائين الا الوداع ... سفك دمي ... ولا الوداع ...

— عزيز، عام أدبر، وعام أقبل. وأحدنا ، لا يعرف عن الآخر الا اسمه الاول ، أليس كذلك ؟

— هذه ارادتك ...

— اسمع يا عزيز ... بالامس كان فعل ماض . وأما اليوم

فسوف يكون . وهو للمستقبل البعيد ، وحول هذا المستقبل ، المظلم . سيكون بحثنا ...

— الماضي والحاضر والمستقبل ، هو قربك والسلام ...

— هذا ما يتمناه قلبي، ولولا هذا القلب، لما تعاهدنا على هذا اللقاء . فالعاطفة شيء، والعقل شيء آخر . فبالامس كانت العاطفة رائدنا . وأما اليوم، فأريد، أن يكون العقل دليلنا . حتى، لاتجري الرياح بنا ، كما تشتهي ونريد. وفي غير هذا العقل ، لانصل بالسفينة الى ميناء الخلاص ...

— مرمر ...

— اسمع المثل :

« تصور فتى وفتاة ، مسحهما الله ، بمسحة آلهية . وجعلهما روحاً واحداً، وقلباً واحداً. حتى أصبحا ، يعزفان، على أوتار الهيام وينشدان نشيد الغرام ، في فضاء الحرية ، تحت سلطان الحب ... وبينما الفكر ، يطوف بروحيهما ، الى أسمى طبقات الشهامة ... انزلهما القضاء والقدر ، في أرض خصبة ... ليبذرا فيها، بذور النمو والارتقاء... بعد أن يلبسا جسداً ... ويغذيانه ، بثمرات النوى . ويرويانه ، بقطرات الندى . وبذاك الغذاء ، وبهذا

الشراب ، يتمتع الانسان الكامل ـ ولا يكمل الرجل، الا بالمرأة — بلذة البنين والاحفاد ...

وبينما كان ، كل منهما ، يستمد ، لاقتباس الكمال الانساني.. وقبل أن يهجم ، أحدهما على الاخر ، ليتصلا اتصالهما اللانهائي ... انشقت الارض بينهما ، على طول الخط ، بعمق لا قرار له. وهنا أوقفهما العقل ، خوفا عليهما من السقوط . وأي سقوط ، سقوط الروح والجسد معاً . فالاولى بهما ، ان يعودا الى سماء الحرية تحت سلطان القضاء ... ويتركا جسدهما الارضي، يرعى كالحيوان ، كل بمحيطه عسى أن الطبيعة تولّد عاصفة بركانية ، تقذف بنيرانها الاصلاحية ، تلال التقاليد والعادات،فتردم بنورها ، ما أفسدته ، يد الاستثمار الديني ، والاستعمار الدنيوي ... والله على كل شيء قدير »

سمع الشاب ، حكمة الحسناء ، وآياتها البعيدة المرمى ... فأطرق برأسه الى الأرض وقال :

— من أي ملة أنت ؟

— أنا ملتي الانسانيـة ... وأما عشيرتي ، فهي عشيرة بني معروف !!!

— نعم الاسم، ولكن أجهل العقيدة ...

— الطائفة الدرزية الشريفة ... وكفى ؟!!

ـ لقد عرفتها، نعم لقد عرفتها، بربيبة الحكمة، بربيبة الجمال الطبيعي. لا بل، بربيبة الخلق والخلق. فانا، من الآن فصاعداً، اعتبر نفسي مع الفخر: انساني المبدأ، درزي العشيرة ...

ـ هذا ما كنت أخشاه ياعزيز ... فالباب موصد بوجه كل طالب !؟.

ـ كيف ذلك ؟

ـ الدرزي بعقيدتنا: من ولد، من أب درزي، وأم درزية. ولا أزيد على هذا ؟؟؟

ـ آه ما العمل ... يا أرحم الراحمين ؟!!!

ـ ان رمت ادراك المعالي كلها ...

ـ أسعى، الى رضى الحسناء ...

لا. لا اقصد ذلك ! بل اقصد السمو، اقصد ان تعمل للاصلاح والخير العام، ما استطعت اليه سبيلا ...

ـ سأكرس حياتي، لاصلاح هذا المجتمع، كما انني، سأكون ثائراً متمرداً، على الجسد الحيواني ... لارضائك ...

نعم المسعى... والآن قل مثلك ، فالشمس قاربت الغروب ...
ماذا اقول : بعد هذا ياغوث ، المقلتين ...
اذن ...
بحقك، تمهل قليلا، والمصطفى، اكاد ان أفقد حواسى الخمس ...
ارجع الى عقلك ، تملك ارادتك ... بحقك قل مثلك والا ...
ـ اتذهبين ، وانا فاقد الرشد ...
ـ لااريد ان اسمع... لااريد... اسمعت ... جسدى لاعبرة له ... سأدفنه ... ربى ... عزيز... قل؟ والا تفككت مفاصلي...
ـ العقل ، اين هو العقل ؟ اه .. سأقول ... اصغي ... بحقك اصغى، لا نشودتي، التي اوقعها، انغاماً موسيقية، فى كل فجر، وقبيل الظهر ، والعصر ، وفى كل مساء ، وعشية . ثم سجد امامها ، وطوق فخذيها ، ووضع خده ، تحت ثدييها ، ورفع عينيه ، دامعا، الى فوق صدرها ، ليستمد من نور عينيها ، كهربائية ، تحرك فمه ، وقلبه ، وحواسه . ليتمكن بها ، من نشيد آلهة الحب عشتروث (١) وعلى هذا النحو انشد :
مرمر ... عشتروت آلهتي .. الهة الجمال تدعى ...

---

(١) عن كتاب (الفكر المتمرد)للمؤلف الذى سيصدر قريبا

انا احببتك منذ البدء ... وعشقتك الآن وطوبتك ...
وستكونين الى الابد ... موضوع صلاتى اليومية ... التي
اوقعها ، انغاما موسيقية ، على اوتار الحب ...

عشتروت ... عشتروت .....

قبل ان تدخلى قلبي ، كنت لااعلم ، لوجودى وجودا ...
سراً مكتوما ، كنت في صفحات الخلود ، وكلمة مبهمة في
سجل ، الوجود ...

فلما ، دخلت الغاب ، غاب قلبي معك ... ورأيتك ...
ورأيتك في الرؤيا ، تحت اكناف ، شجر الصنوبر ، فعشقتك ...
ونظرت ... ونظرت اليك ، نظرة حب صادقة ، فقابلتني بالمثل ...
وهبطت ... وهبطت بى ، الى مدينة الحياة باسمة ساكتة ...
فتبعت ... فتبعت خطواتك ، وسرت فى حماك ، الجميل الامين ...

. . . . . .

ومن ذاك ، صار حبك ، يهدينى الى الطريق ...
وامال عواطفك ، تسقيني الرحيق ...
وجمال روحك ، ينسيني الدموع ...
وسكينة ربوعك ، تملي علي الخشوع ...

ورياض نورك ، يوحي الي الكمال ...
ونسيم سحرك ، يريني الجمال ....
وغاباتك المخيفة ، تزيد في الولوع ...
وعظيم جبروتك ، يصعدني الجبال ...
ومرآتك الطبيعية ، تذكرني شبابي
. . . . . .

ولم ينته عزيز من نشيده الهيامي ، حتى كانت الحسناء في غيبوبة العاطفة . تتنهد من آونة الى اخرى وهي تلتقط القطرات الباردة ، النافرة ، من جبين عزيزها ، بانامله ... وطوراً تلاعب شعره الكستنائي ، المسترسل بين انامله ، الى ان حركتها ، عوامل نفسها الطموحة ، الى الحب . فانشدت ، نشيد اله الحب ...

ادونيس :

عزيز ...

ادونيس ... ادونيس ...

الا تعلم ؟ ...

الا تشعر بالتضحية ؟ ...

الا تعلم ، قوة تصورى فيك ؟ ...

الا تعلم ؟ ...
الا تعلم ؟ ان الحب ، في جبهتك ، هيبة ...
وفي عينيك ، نغمة ...
وفي شفتيك ، ثمرة ...
وفي قلبك ، سعادة ...
الا تعلم ؟...
الا تعلم ، ان الجميع يقتربون منك ، وانت لا تقترب ، لغير المخلص الشريف ...
الا تعلم ، ان الكل ، يتزلف اليك بالحب ، وانت لاتحب ، غير غيبوبة التيه ، في الصحراء ...
تعال وانظر ، كيف ان الجميع ، يسجدون لجمالي ، والوهيتي ويعتبرون حكمتي ، ويقدسون شخصي ، فهم ...
فهم ، يسجدون لك ، ويقدسونك ، ويحترمونك ، لأن ذاتيتي مندمجة في ذاتيتك ...
اردت ان احب ، ففتشت على نفسي ، فرأيتها ... متجسمة بك فاحببتك يا ادونيس ، وها ...
— وها انا ، ساجد امامك ، يامعبودي ، ويا الهة حبي ...

. . . . . .

تكهربت مرمر، من هذا النشيد، وقبل ان تستسلم لسلطان العاطفة، رفعت حبيبها العزيز، بقوة، لاتعلم كنهها، وقبلته قبلة حارة ... ثم نفرت منه، نفر الشاة من الذئب، واعتلت جوادها مرجان، دون ان تضع، رجلها في الركاب. ولم يستقر جسمها عليه حتى رفعت انظارها، نحو السماء وقالت :

اللهم ! يا ايها العزيز المعز، والقهار المذل، احفظ عزيز، وبرد بركان جوفه المكهرب، برفعه عن ارض الشقاء ...

ثم حولت وجهها نحو عزيز ولحظته ببريق عينيها وقالت كلمتها الاخيرة : المثل ... الوداع ...

وفى لحظة سار بها الحديدي كالبرق الخاطف، الى ان غاب بها عن نظر عزيز ... وعزيز كالمأخوذ، اخذ عنه ما وهب اليه من عقل وحكمة وطول اناة، وهو لايدري ماذا يفعل ! فسقط على الارض حزيناً كئيباً ...

. . . . . .

في حديقة السراي :

في احد ، احياء بيروت (الدحديلي) نزل الامير ن ارسلان في سراي من سرايات آل سرسق ، الفسيحة التاريخية تحوط بها حديقة غناء ، نظمت هندستها على احدث طرز غرس فيها من كل فاكهة زوجان. يزيدها جمالا على جمال وردها العطر وياسمينها المنعش، وفلها. العبق واقار الكماليا ، كالنجوم تسطع بين الخمائل الخضراء...

وفي وسط هذا الربيع ، فسقية من المرمر الابيض الايطالي يرتفع الماء منها ارتفاعا يعلو سطح السراي. ثم يتساقط في وسطها كدائرة من قطرات الندى ، يسمع لها خرير كخرير شلال على بعد كيلومتر . وقد صف حولها مقاعد من حجر (الشحم واللحم) انفردت فيه ، معادن « بيت مري (١) » دون سواها ...

وبينما كان ملاك الحديقة يسبح: المجد لله في العلى وعلى الارض : الماء والخضراء. أقبلت الحسناء ، بفستانها الفستقي ، الطويل ، تتهادى بمشيتها ، كانها آلهة الجمال على الارض . ولم يشاهدها

(١) وبيت مري هي مصيف من مصايف لبنان الجميلة

الملاك حتى علم أن هبوطها ساعة التسبيح ، كان لحكمة التثليث ـ ماء وخضراء وحسناء ...

عبق وجه الملاك ، وتحركت أوداجه وقال :

ـ لاشك ان لطبيعة الاقانيم سلطاناً ...

اذ ذاك نزل من عليائه ، وهو يوقع أنشودة الحب على أوتار القلوب ....

طربت الحسناء من هذا النشيد الخيالي ، وأخذت مقعدها الذي ينطق بعظمة كنوز لبنان المرصودة لتستوعي كلمات الحب ، عن كثب ...

سمعت الفتاة مرمر أنشودة الحب ، وهي خالية الذهن صافية... ونظرت الى منشدها بنظرات جذابة نزيهة ذات معنى ؟ ؟ ! !

الالم وامال :

انتهت الانشودة ، فغاب الملاك عن نظرها ثم عاد بشكل نوراني أبهر عينيها ، فامس حبة قلبها ... فغابت... ثم تطلعت... فاذ هو حبيبها عزيز . وكانه يقول لها ، او كأنها تسمعه يقول : الى متى هذا الوداع ؟ فانتفضت ، وأخذت تناجي نفسها :

اهيت دروسي وأنا على أهبة السفر الى الجبل ... وداع ...
نعم ودعته الوداع الاخير... مر على هذا الوداع أربعة أشهر وهو لا يعلم عني شيئاً ... وأنا أعرف عنه كل شيء ... امينة الوصيفة ... امينة هي رسولة المحبين حقاً ... هي تستطلع اخباره وهو يجهل اخباري ... حتى انه لا يعرف من أنا... وأين أنا ...
عزيز .. تألم .. ابكي .. احزن حتى الموت .. ولكن شتان بين المي والمك... حزني وحزنك... فالنار لاتحرق الاموضعها انت تخدرت ، بقوة العاطفه والعاطفة الطموحة ، قد سلبت منك الارادة حتى اصبحت لاتهتم لنفسك ، ولا لنفس من تحب ... وحتى اصبح التشاؤم رائدك ...والمتشائم يقول : علي وعلى اعدائي يا الله ...

واما انا ياعزيز فقد اماتت العاطفة نفسي فلم اعد اتألم على نفسي لاني استسلمت لسلطان العقل والعقل يتألم ؟ ويتألم كثيراً . يبكي ويبكي دما . وانما يبكي ويتألم ، على آلام الانسانية ، لماذا ؟ لانه يزن العاطفة ويعطيها حقها من الحياة ...

فانا ياعزيز، اتألم واحزن. ليس على نفسي بل على بنات جنسي اللواتي، داسهن الدهر باقدامه وجعلهن اسيرات العادات والتقاليد.

لايجيز لهن، ان يرفعن اصواتهن بمظلمة، ولا ان يجرأن، على التصريح بمطالبة، وان لا يتذمرن، مما آل اليه مصيرهن، من رق واستعباد كأنهن سلعة، تباع وتشري، في سوق الرجال، لماذا؟ لانهن غير متعلمات، ويا للاسف؟؟؟

فالاولى بفتاة مثلي، قبل ان تستسلم للعاطفة الوثابة، العاطفة التي لاترحم، يجب ان تهذب زميلاتها الفتيات، لتجعلهن انموذج المرأة الشرقية، وبعد ذلك تستحق الحياة نعم تستحق الحياة ياعزيز ولكن بعد أن تتأصل، من ضلوعهن، جذور التقاليد، وتنزع من مخيلتهن، شياطين الاوهام، وينلن على يديها، سعادة الطمأنينة والحرية وعلى هذا المبدأ، ستسمع ياعزيز، كيف أقتل الداء، داء البؤس من النفوس الحزينة، وكيف أحارب الشقاء، سأحاربه ياعزيز.. وسأحاربه، بكل ما أوتيت من قوة. والفتاة التي تسعى تتألم، وتتألم كثيراً... فاذا كنت شجاعاً.. فاصبر... فالصبر مفتاح الفرج...

تعال ياعزيز، تعال نصلح هذا المجتمع، كل منا يشتغل في محيطه، أخلق فيك اصلاح الرجل... وأنا أخلق في اصلاح المرأة... وبهذا وحده، يمكننا أن نلتقي

تألم ... على أن تتألم آلامي ... كن بطلا ، لا لنفسك ، بل للعالم أجمع . واسعى بعدئذ ، للحصول على المرأة ، بشرط أن تصونها بحبك ، كما يجب أن تطوقك بحبها ...

جدد شريعة المحبة الشاملة ... وأصلح بالعلم ، ما أفسدته يد الجهل ، وسر في طريق الكمال الاكمل ، وبعد ذلك أصافحك ، مصافحة الحب ، مصافحة الانسان للانسان — لا فرق بين جنس قوم ، ودين آخرين ...

. . . . . .

الحسناء والامير :

وفي هذه اللحظة ، وصل الامير فارس ، نجل الامير ن أرسلان الى قرب الانسة مرمر ، فوجد حسناء لبه ، نائمة على زندها . والامير الشاب ، لا يتجاوز العشرين عاما ، مرتد عباءة وكوفية من الحرير الابيض ، وعقال مقصب بالذهب — فوقف يتأمل جمالها ، والابتسامة تعلو وجهه ، اللطيف الخمري ، ثم جلس بقربها وأحلامه بها عظيمة . وبعد أن وضع يمينه على كتفها ، استيقظت مذعورة ، والتفتت اليه ببرودة ، وقالت :

ـ أسعد الله أيام الامير .
ـ أسعدني الله بقلبك ، ياعزيزتي ...
ـ قلب الاخت لأخيها ...
ـ لا ، بل قلب الحبيبة لحبيبها ...
ـ صدقت ، ولكن الأخ أولى بالمعروف ...
ـ أحديث مغالطة ، أم ماذا ؟
ـ اصفح عني يا أخي ...

ووقفت متألمة .. ثم ارادت الانصراف ... فاستوقفها الامير وقال :

ـ هل بودك الرحيل الى الجبل ؟
ـ نعم يا أمير ...
ـ أبيروت ، غير محبوبة منك ؟
ـ كيف لا أحبها يا أمير .. ثم توقفت .. ثم قالت : وقد ضمتني تحت سمائها ، سنوات طوال ، كنت فيها .. حرة طليقة ...
ـ لا أقصد هذا ، بل أقصد ، ما هو أبعد من هذا ...
ـ ولا شك ، أن والدي الحارس ، سيقوم بالواجب ، نحو من أحسن فضلا ...

ـ التمس ، تغيير هذا الموضوع ...
ـ شأنك وماتريد ... السلام عليكم ..
ـ مرمر .. ماهذا الجفاء ..
ـ أعوذ بالله ، هل تعتبر حريتي جفاء ..
ـ استغفر الله ، انما أرغب لغة جديدة ...
ـ أتريد لغة أفصح ، من لغة القرآن الكريم ؟
ـ مرمر .. بحقك خففي آلامي ... لقد ضاق صدري ...
ـ أغضبتك ولا شك ؟
ـ كلا .. وانما ..
ـ لقد أطلت الكلام .. أليس كذلك ؟
ـ معاذ الله ..
ـ لابأس .. السلام عليكم ..

ثم سارت ، وهي تتنقل كالغزال ، نحو غرفتها .. نحو وحدتها.. والامير ينظر اليها ، ولا يجسر على معارضتها ، مرة أخرى ... ولم تبتعد عنه ، حتى ارتمى على المقعد ، ، شارد الفكر والحواس ... ولسان حاله يقول : لابأس ، انتظرت طويلا ، فسأنتظر قليلا . وها أنا سأتبعك الى الجبل ...

راية الحسناء :

في غرفة عزيز ، رفعت راية الحسناء المثلثة ، رمزاً الى شعرها الذهبي ، وثوبها الابيض ، وجوادها الحديدي . وعلى مكتبه الصغير ، وفي آنية فضية ، وضعت زهرتان : زهرة حمراء — علامة الحب . وزهرة بيضاء ـ علامة الطهارة . وفي كل يوم يتلو أنشودة الحب ، مثنى وثلاث ورباع ، وقبل أن يطرح نفسه ، في فراش وحدته ، يختم الخامسة :

ما أشرف قلبك ، يامرمر ...

ما أطيب نفسك ، يا حسنائي ...

ما ألذ ذكرياتك ، يا حبيبتي ...

انبثق نور الصباح ، فانتهت الانشودة الاولى ، ونفس عزيز ، تعلو ، وتعلو نحو غيبوبة التيه في الصحراء ...

أشرقت الشمس ، فجلس عزيز على مكتبه الصغير ، وقبل أن يمسك القلم ، ليدون مذكراته الليلية ، دخلت خادمته الصغيرة ، تنبئه ، بوجود سيدة على الباب ... انتفضت أسارير وجهه فرحاً تصور أن القادم هو الحبيب ... ولم يقف ليستقبل الحبيبة ...

حتى استلقى مذعوراً على كرسيه ... لماذا ؟ لأنه شاهد سيدة غريبة ، تتقدم نحوه ، بقدم ثابت ، دون خوف ، كأنها تعودت الدخول عليه من قبل ، الى أن وقفت أمامه وجهاً لوجه ... اذ ذاك ناولته رسالة ، كانت في يدها ، وهي تنظر اليه ، نظرة مستطلع يريد أن يسرق مكنونات قلبه . فأخذها عزيز ، بيد مرتجفة ، وفضها وقرأها ، وهذه صورتها :

عزيزي عزيز

وداع .. لا حدله .. وبعد أن تقض رسالتي ، أكون في طريق السويداء . انتظر المثل ، صحبة الوصيفة ، وهي أمينة ، واميبنة على السر ... اخلق فيك اصلاح الرجل ... وأنا أخلق في اصلاح المرأة ... فان تم الاصلاح ، اجتمعنا ...

المخلصة : مرمر

وبعد أن قرأ الرسالة بتأمل ، سأل الوصيفة عن سيدتها ، أسئلة عديدة ، فلم يستفد من جواباتها ، الا أنها تذكره دائماً ، وانها ذهبت الى الصحراء . وانها كريمة الشيخ حارس الحمدان ، الزعيم الدرزي المشهور ... فانتفض كالعصفور بلله المطر ، وأخيراً أخذ قلماً وقرطاساً وكتب :

عزيزتي مرمر

اللقاء غايتي، والسويداء ضالتي، والحياة أمنيتي فانتظريني...

المخلص: عزيز

ثم انتزع، زهرتي الحب والعفاف، من الآنية، ووضعهما في الرسالة وطواها، وظرفها، وسلمها للامينة، بعد أن قال لها:

ـ انشاء الله، ستكون لي، رغم أنف الطبيعة...

فاخذت الرسالة، وهي تقول في سرها: قران، قر الحب، وقر الجمال، ولكن، جمعهما تحت سقف واحد، معجزة، من معجزات، القرن التاسع عشر...

وأما عزيز، فقد اخذته سنة من النوم قليلا، ثم هب من رقاده، كالاسد المستعد للهجوم، وكتب الى والده، سري باشا المصري، الكتاب الآتي:

سيدي الحنون محمد سري باشا

بعد قبلة يمينك المقدسة، التمس رضاك، صحبة رسول أمين يحمل مبلغ الف جنيه ذهب، والخيبة ... موت وحيدك والسلام ؟

ولدك المطيع: عزيز

مقابلة غير منتظرة :

بعد أن أنشد عزيز ، أنشودة العصر ، التف بعباءة بيضاء وكوفية حمراء ، وعقال اسود ، وتحزم بسيف مرصع ، وخنجر مذهب ، واعتلى جواده الازرق ، قاصداً الشيخ حسن درويش ، الملقب بشيخ شباب الدروز ، بمزرعة العرب (المصيطبة) زيارة اعتادها يومياً ، باسم الشيخ الهدهد ، من دروز فلسطين ، وانه جاء بيروت ، ليتمرن على ركوب الخيل ، ولعب السيف ... بالنظر لشهرتها ، وخاصة لعب الجريد والحكم ...

ثلاثة أشهر ، تمكن فيها عزيز ، من مصادقة الشيخ حسن ، الذي عرفه ، بمعظم شيوخ وشباب ، بيروت وضواحيها ، ومنهم الامير فارس ن أرسلان الذي ارتاب في لهجته المصرية . وعزيز لا يعلم من حب الامير شيئاً ...

صداقة ، جعلت عزيز ، يدرس أخلاق القوم ، وعاداتهم ، ويستطلع أسرارهم ، ما أمكن ، حتى أصبح في نظرهم ، درزي ابن درزي .

وفي ذات يوم ، بينما كان عائداً الى منزله ، شارد الفكر ،

والجواد يسير به متمهلا، سمع صوت سيدة، تناديه باسمه: عزيز ؟

فاراد الفرار من هذا اللقاء، فلم يمهله، بل وقفت في طريقه، وهي تقول له: كلمة ... أو خذني بجوادك ...

— قلت لك في جوابي الاخير، لاتقفي في طريقي ...

— أنا لا أقف في طريقك، بل في طريق ...

— الويل لك من مجرمة، الويل لمن يمسها بسوء ...

— اقترب مني ياعزيز، وانزل عن جوادك قليلا، لأني أحبك ...

— سعاد ... يالك من ماكرة ...

— أماكرة في الحب ياعزيز ...

— وأي ماكرة، أنسيت نصف الليل ؟

— والله يا عزيز، هو ابن خالتي ... ألم تزل حاقداً علي ...

— أبن الخالة، لايلذ له، الا سرير من عاج، والليل راخٍ ستاره ...

— عزيز أنت تهين كبريائي ...

— ومالله، أغربي من أمامي، ياملعونة ...

— أقسم بالعزيز، اني منفذة وعيدي ...

— وأنا بحد هذا الحسام ، أطعن صدرك ...

— أتهددني ... اطعن صدري ... كما طعنتني في قلبي ... سأنتقم ...

— شلت يد ، تمتد الى الاطهار ، يا فاسقة ...

— فاسقة ياعزيز ؟ ! نعم فاسقة .. والفاسق ، قطف زهرة حياتي ... فوالله ، سأقضي ، على زهرة حياتها بالموت ...

فغضب عزيز ، وهجم عليها يريد قتلها ، ففرت من أمامه ، وهي تتوعد ... ثم قالت : سنلتقي ياعزيز ...

حلم فيقظة :

ختم عزيز صلاته الليلية ، بانشودة الحب ، واستلقى على فراشه وهو متمتع ، بألذ ما طاب له ، من أكلتي العدس والفول . كما تمتع بلذة الراحة والطمأنينة ، بطرد سعاد ... ولم تأخذه سنة من النوم حتى تخيل اموراً ، أرجعته سنوات الى الوراء .. سنوات لم يستيقظ قلبه بعد ، الى محبوبته مرمر ... تشخصت سعاد أمام مخيلته وتجلت له ، بشكل حورية جميلة عارية ... سترأشعة جسمها الخلاب

قميص شفاف . يزيده ، شروقاً على شروق طلعتها الرشيقة وقوامها المستكملة ... فتصور ... وياليته لم يتصور ... تصور أن الارض ومن عليها ، من جلال وجمال ، طوع سلطانها ، وانها أجمل خلق الله بين بني البشر ... كلها حركات ... كلها مشتهيات ... فتقدم.. وكل ما تقدم خطوة الى الامام ، زادت هيئتها ، نار على نار ...

وأما وجهها ، فقد مسحته يد الانسان ، بمسحة لايعلم كنهها، الارب المساحيق . . . وجسمها معطر ، بعطر يحرك شهوة النفس الى ماتشتهي وتريد . ناهيك عن صوتها الموسيقي . انغامه : تعال ياحبيبي ... وصداه: حاضر ياحبيبتي ... اصطادته ، فاصطادها ... ارتمت عليه ، فارتمى عليها ... قبلته فقبلها . . . عانقته فعانقها ... دخل بستانها ، فجعلته حارساً عليه ... شهور معدودة ، والبستان مسرح للبستاني وصاحبته . يقطف من زهره ، ويتلذذ بثماره ، وربيبة الشوارع ، تطعمه التفاح ، وتسقيه الرحيق . وهو في وسط الظلام ، لايبصر الانور وجهها ، وعرى جسمها ، حتى أصبح ، في كابوس الخلاعة ، منغمساً ، وفي زيت القطران ، الساخن اللذع ، يتلوع ، مما يزيده لهبا على لهب . وهي طريحة على الخمائل الخضراء . لا تشبع من أغصان تستخرجها لباناً ، عظامه ، ولامن

شرايين تستعطرها شرابا ، وكل يوم بمزيد ـ هو يروى بستانها ، وهي تقطف ثماره . . .

شعرت بانحلال جسمه ، فلم يعد يرق لها ضعفه ، ادته أجازة ليستعيض بها ترويضاً وصحة ، بعد ادمانه ، واهلاك عضلاته ... صرفته موقتاً ، لانصراف قلبها الى غيره ، الى بستانى آخر ، يشبع بستانها رياً ، لتزيد شهوتها نضوجاً ، الى أكل الثمر . . وهذا لاعتقادها ، ان البستان كلما زادت عماله ، وكثرة الايدي فيه ، كلما زاد نضوجاً . وقد جهلت ان كثرة الطباخين تحرق الطعام ، أوكل شيء زاد ، بالمعنى نقص . والمعنى في بطن الشاعر :

ان القلب الذي يحب لا يبغض ـ . . . . . وقلب الانسان الانسان لن يقسم الى شطرين . . .

خرج عزيز من الظلمة الى النور ، فاعادت الشمس نشاطه ، فمشى : ومشى الى أن وصل الى الشاطىء ، شاطيء البحر المتوسط صدفة . وهناك ، على رابية ، في وسط الامواج والرياح ، ظهرت الهة الحب ، فاستضاء قلبه من نظرة ... وتفتحت جوارحه من لحظة ، وانتعش فؤاده من نسمة ملكوتية .. فصاح من قلب مجروح : نور على نور ...

عاد الى بستانه سريعاً ، وقصد مقصورته ، وهو لا يعلم ، لماذا عاد ، الى النار بعد النور ... تقدم قليلا ، وهو منقبض الصدر ، ونادى : سعاد ...

لم ينتظر الجواب .. بل دخل في ظلام دامس ... أظلم قلبه .. سار خطوات واسعة ، نحو غرفة معشوقته ... وجد الباب مقفلا. طرق الباب ... من ... عزيز ... حاضر ياحبيبي ... افتحي ياحبيبتي ... قال هذا ، وهو لا يدري ... ثم قال : لماذا لم تشعلي النور ... أشعلت النور ... من هـذا ... ابن خالتي ... ابن خالتك ... دخوله دخول اللصوص ، في ظلام الليل ... لا ..... بل لم نجد كبريت ... آ ... كبريت .. أليس هو كبريت .. وأشار الى لص الليـل الواقف في زواية الغرفة ، قرب فراش معشوقته . . . غضب . . . شتم . . . لعن الساعة . . . ارتعدت فرائصه ... استيقظ من تصوراته المرعبة ... جلس في فراشه ... تألم وقال : ان ماشاهدته في الحلم ، فقد كان في اليقظة حقاً . ولكن يجب أن تبقى ، ذكريات سعاد : سعاد الخائنة ، في مخيلتي ، كحلم زائل ...

وأما مرمر ... مرمر ملاكي الحارس الامين ... يجب أن

تبقى في سويداء قلبي ـ مفتاحه اخلاصي . . .

فدولة الخبث والمكر والرذيلة قد دالت وانتهت ، في بؤس سعاد . . .

ودولة الحب والجمال والفضيلة ، قد ظهرت طلائعها ، في نجم الحسناء . . .

أسدل الستار ، على حلمه الجهنمي . . . فرفع الستار ، على يقظته الحلوة . . . فجر عصر جديد ، سطع أمامه ، كما انبثق فجر ليله . . . فلم يعد يرق لذوقه السليم . . . الا المثل الاعلى . . . فأنشد أنشودة الحب . . .

فارس الليل :

في ساعة متأخرة من الليل ، بعد بضعة أشهر من حلم عزيز الجهنمي . . . دخل السويداء ، فارس ملثم الوجه ، دليله عملاق أسود ، مدجج بالسلاح ، كانه قطعة من جبل ، ووجهتهما ، مضافة الشيخ حارس ابن حمدان . ولم يصلا المنزل ، حتى نزل العبد عن ظهر جواده (الليل) وتقدم نحو سيده ، بسرعة البرق ، وملك ركاب جواده (الازرق) فنزل السيد ببطىء ، وسار نحو

المضافة ، فاستلم خدم الشيخ حارس الجوادين . واستقبل سيدهم الفارسين ، كل بما يليق بمقامه ...

فرش المقاعد ، بالسجاد العجمي ، وذبح لهما الذبائح ، فاكلا هنيئاً ، وشربا مريئاً . وأخذ كل منهما ، قسطه من الراحة ، دون أن يتعارف بهما الحارس .

وفي صباح اليوم الثانى ، بينما كان الفارس ، يشرب القهوة ، أقبل ركب الامير فارس ن ارسلان . فاستقبل الامير بما يليق به من الاكرام والاحترام . وبعد أن استقر فى صدر المضافة ، أبصر فارس الليل جالساً بجانبه ، فاندهش من وجوده ، في مضافة الحارس. وبعد أن رمقه بنظره ، كانه يريد أن يستطلع السر ، الذي دفعه للمجيء الى جبل الدروز ، وقف ، ووضع يده على كتف الفارس الذي وقف بدوره ، فوقف كل من حضر وقال :

انى أعرفكم ياسادات بني معروف ، بالفارس الملقب بالهدهد. فهو ـ كما أسمع عنه ـ من أفرس فرسان بني معروف بفلسطين ، وسيكون من أعز أصدقائي ... فاشرأبت الاعناق ، وامتدت الايدي ، لمصافحة الفارس ، وهم ينظرون اليه ، نظرات التعجب ، والاعجاب ... ثم التفت اليه الامير وقال :

— هل هجرت بيروت من زمن بعيد ؟
— وصلت هنا أمس مساء ...
— وجهتك يا وجه العرب ؟
— رحلة في الصحراء ...
— مرحى ، مرحى ، بفارس الازرق ...

ساعة الهدهد:

ساعات قصيرة ، والامير والهدهد ، على غاية ، من المودة والاخاء . . . وعندما قاربت الشمس للغروب ، أقبلت بعض العشائر للسلام على الامير وصاحبه ، وفي مقدمتهم الامير يحيى الحمدان ، أمير جبل الدروز . والشيخ خليل الحمدان ، صاحب نجران . وبعد أن تقدم كل منهم ، ينتخي أمام الامير ـ نحن رجالك يا أمير . . . وقف الامير فارس ، وتقدم أمام الاميريحي وقال :
— بالنيابة عن سعادة والدي الامير ، وبالاصالة عن نفسي ، جئت طالباً ، فلا تردني خائباً ، ياأمير بني معروف ...
— خير انشاء الله ياولدي ... ابشر بذبح واكد وهزاع ـ فدية عن أمير لبنان .

— عافاهما الله ، وبياهما يا أمير ... جئت في طلب ، كريمة الحارس ابن حمدان .

— خادمة نعالك يابني ... أما الزواج فزمامه بيد الحارس ..

— سعادتكم والد الجميع ...

— أكرم الله أصلك . ولكن المشورة واجبة يابنى ....

— مشورة الفتاة ، واجبة أيضاً يا أمير ... هذا ماقاله الشيخ خليل الحمدان الهدهد ..

— هذا حق ، فمشورة الفتاة واجبة ...

ولم ينهي عزيز جملته ، حتى التفت الامير فارس ، الى الهدهد بغضب ، وقال له :

— ماشأنك يا هذا ؟

— شأنى كشأنك يا هذا ؟

— والله،لم يردعني، عن خرس لسانك ، في حد هذا الحسام ، الا المعذب (١)

— هذا ماأتمناه يا أمير ، فواجب الطالب أن يدافع عن فتاته

---

(١) المعذب هو صاحب المضافة

فان كنت من حملة السيف حقاً ، كما تدعي ، فنازلني .. وان لم تحسن حمله .. أمامك ميدان السباق ...

ـ أنازلك بكليهما ، والويل للمغلوب ...

ـ والنصر بيد الله .. والغالب له الفتاة ..

ـ ثكلتك أمك ، ياأحط العرب . .

ـ الشقيمة للجبان، والسيف للفرسان .. فهل أنت مستعد ..

ـ الى الميدان ...

فوقف الشيخ خليل، بوجههما، ومنعهما ، عن الخروج، وقال:

ـ لاهـذا ولاذاك ، فالامر راجع ، لاختيار الفتاة ، ورضى الوالد ... فاعتلى أحدهم مقعده وقال :

ـ للآن ، لم نعرف شخصية الشيخ الهدهد ، وهو بنظرنا ، ضيف مكرم ، ليس الا : وبالوقت نفسه ، وجب على الضيف ، أن يتأدب .. فالفتاة للامير فارس ، والويل ، لمن يقف في طريقها ..

وفي هذه البرهة ، ظهر فارس ، على عرصة الدار ، بعد أن سمع ، مادار بينهم من الحديث ، وصاح بصوت متألم : ليس أمامكم الا عزيز المـ...

وقبل أن ينهى كلامه، أصابه طعنة ، من خنجر الفارس الاسود

طرحته ، خارج المضافة ...

وفي أثنائها ، صاح أحدهم ، بصوت كالرعد القاصف : فليمت الخائن ، فليمت الفارس الغريب ...

تهيجت جماعة الامير فارس ، واستلت خناجرها ، وهجمت على الهدهد ، والاسود ، قصد اعدامهما . فما كان من الهدهد ، الا أن استل سيفه ، وأخذ ناحية من المضافة ، جهت البـاب ، ليستعد للدفاع . وأما الفارس الاسود ، فقد وقف فى وسط الباب ، وصوب غدارتيـه نحو الدروز وقال : كل من تقدم ، لسيـدي الهدهد ، أطلقت عليه النار ، والله العظيم ...

وقبل أن يختلط الحابل بالنابل ، ويختل نظام القوم ، تقـدم الشيخ حارس ، الى وسط المضافة وقال :

ـ كل من مس ضيوفى ، فقد مس كرامتي ، واذا كان ولا بد ، فها صدري فداء عن الضيف ...

فأجابه الجميع ، بصوت كله حماس : حاشا ياحارس الدروز ، كلنا فداك ...

ـ الضيف ضيفي ، والامير فارس صاحب المضافة ، فواجب المعذب ، أن يقوم بخدمة ضيفه ...

ـ لعيون الحارس ، نحن خدام الضيف .. ثم تقدم الامير فارس ، الى الشيخ الهدهد ، وقال له : اذا كنت ضيف الحارس ، فأنت ضيف الدروز ، تفضل اجلس ، فأنت على الرحب والسعة . . .

فأرجع الشيخ الهدهد ، سيفه الى غمده ، ووضع الفارس الاسود ، غدارتيه في وسطه ، كأنه لم يحصل بينهم ، مايكدر . . .

وارفض القوم ، بعد أن اشترك ، عاليهم ودانيهم ، مع الامير والحارس ، والهدهد ، بمناولة الطعام ، حول المنسف (١) الذي كان آية ، من آيات كرم الدروز . . .

الفارس الجريح :

وأما الفارس الجريح ، فقد نقل الى دار الحريم ، بعد أن رفعت الخدم ، اللثام عن وجهه ، وظهر من تحته ، وجه سيدة صفراء اللون ، ذات حاجبين مقفولين ، مع شيء من العبوسة ، دلالة على المكر والخداع وبعد أن أسعفتها الدرزية الحسناء (مرمر) بالاسعافات اللازمة . وضمدت الجرح ، الذي أصاب جبينها ، بمنديل من الشاش ، وشيء من البن العدني ، واستراحت قليلا .

---

(١) راجع تاريخي جبل الدروز . وحوران الدامية للمؤلف

فتحت عينيها ، وتطلعت حواليها ، فوجدت الحسناء ، جاثية على ركبتيها ، تلاحظ حركاتها ، وتراقب دقات قلبها . ولما تنبهت جيداً ، هبت من فراشها ، كالملسوعة ، بنار الغيرة وقالت :

ـ أأنت تسعفيني يا قاتلة ؟ أأنت تضمدين جرح جبيني ، بعد أن طعنت قلبي بخنجر ، الويل لك من شقية ! الويل لك من يدي ... وهرولت هاربة لا تلوي على شيء ...

استغربت الحسناء صنيعها ، الدال على نكران الجميل ، وهي لا تدري شيئاً ، عنها ، ولا عن الذي ، حصل لها في المضافة ... سوى أن السيدة ، أصيبت بضربة صلبة ، في وجهها ... فجعل لها هذا الجرح ، مع شيء من الاهتزاز الدماغي ... أفقدتها الصواب فتألمت على حالتها ، واستلقت على فراشها ، لتستريح من هذه الصدمة المفاجئة ، وهي تردد عبارات السيدة : قاتلة . شقية . طعنت قلبي بخنجر . تهديد . الويل لك من يدي ... فكانت تراجع عباراتها ، وهي لا تعرف لها معنى . فاستلقت على فراشها ، وغابت عن الوجود

عصمت في منزل الحسناء :

وبعد أن أخذت الحسناء ، بعض الراحة ، عادت الى مراقبة

ذبح الذبائح ، وتهيئة الطعام للضيوف ، وهي غافلة ، عن كل شيء ، خارج دار الحريم ، لانفصالها ، انفصالا تاماً ، عن الضيافة ـ والخدم ، لايجرأون على تبليغ شيء للحريم ، الا باذن سيدهم ـ حكمة ، تتخذها الدروز ، مع الحريم ...

وفي عصر يوم ، دخلت السيدة عصمت ، زوج الشيخ علي ، على الحسناء ، وجلست بجانبها ، تستطلع مكنونات سرها ، كأنها على علم ، من علاقتها الغرامية ... ولكنها ، تجهل كنهها ... الى أن انتقلت ، من حديث تأسيس مدرسة للفتاة ، الى عقد مؤتمر نسائي ، الى حالة الدروز الروحية ، والادبية . التي هي : كريشة في مهب الريح ، الى آخر ماهنالك ، من حديث المرأة الدرزية . وأخيراً بالنظر لذكاء السيدة عصمت ، استدرجتها ، الى أن سألتها :

— من هو عزيز يامرمر ؟

— أي عزيز هذا ؟... أجابت الحسناء ، وهي تحدق بعصمت...

— ضيفكم الملقب بالهدهد ...

— لا أعلم عنه شيئاً ... أجابت وهي ترتعش ...

— مالنا ولهذا ، والامير فارس ؟

— أعرفه وهو نجل الامير ن أرسلان ! وقدمكنت في ضيافة

والده ، بضعة سنوات ، كنت فيها ، عزيزة الجانب ...

— أعرف ذلك .. وأنا أريد أن أقول : انه ضيفكم الآن...

— لم أتلقى للآن خبر قدومه ..

— حسن . وهل لك ، رغبة في الزواج ؟

— رغبتي ، اصلاح المرأة ، في هذه الصحراء .. كما تعهدين بي ، من المجهود العظيم ، الذي أبذله ...

— كل هذا أعرفه فيك ... ولكن لا تمنع ..

— قد صممت ، على عدم الزواج ، اكراماً لخاطر والدي ...

— كيف ذلك ؟ ووالدك يرغب في زواجك ..

— ماتت والدتي ، وأنا طفلة يومي ، ووالدي لم يتزوج ، اكراماً لخاطري

— والامير ، أليس له حظوة في عينك ...

ـ أخ عزيز والسلام ...

ـ وعزيز ؟

ـ لا أفهم ... وقد لاح على وجهها ، دلائل الحب ، والحب كالطيب ...

ـ لا تتوردي يامرمر ... وسأطلعك ، على ما حدث ...

ـ ماذا حدث ؟ أفصحي ياعزيزتي ؟

ـ أنت كابنتي ليلى ...

ـ هذا لاشك فيه ... ولـكن ...

ـ اسمعي .. من نحو يومين ، أم المضافة ، سيدملقب بالهدهد وبمعيته فارس اسود ...

ـ أهلا وسهلا ... فالمضافة عامة ، يؤمها كل زائر ...

ـ مهلا .. وفي صباح أمس ، حضر الامير فارس من بيروت ...

ـ أهلا وسهلا ... وبعد ...

ـ وبعد . أقبلت العشائر ، للسلام على الامير ، وفي مقدمتهم الامير يحيى ...

ـ أهلا وسهلا ... وبعد ...

ـ وفي اثناء الاجتماع ، طلبك الامير الشاب ، من الامير يحيى...

ـ هذه وقاحة ...

ـ والهدهد طلبك أيضاً ...

ـ غريب ...

ـ وأغرب منه ، ظهور فارس ملثم ، واعلن ، أن الهدهد ، هو عزيز ...

ـ يا الهي ...

ـ وقبل أن يكشف سر عزيز ، بادره الفارس الاسود بضربة في قبضة خنجره ...

ـ ويلاه ... وبعد ذلك ؟

ـ وبعد ذلك ، تداخل والدك في الامر ...

ـ بورك فيك يا والدي ... وبعد ...

ـ وأخذ والدك ، عزيز وفارسه الاسود ، تحت حمايته ...

ـ عاشت الشهامة ... والفارس الجريح ؟

ـ لا أعلم عنه شيئاً ...

ـ حسن ... والامير فارس ألم يرحل ؟

ـ كلا ...

ـ يا الهي ارحمني ...

ـ استحلفك ياعزيزتي ، أن تفتحي قلبك لي ، عسى أتمكن من تخفيف آلامك ...

ـ آه .. ما العمل ؟ وأجهشت في البكاء ...

ـ كفكفي دموعك يا عزيزتي ، وأصدقيني الخبر ؟

ـ هذا لايكون .. لا أريد الزواج .. فليرحل الامير ..

وليرحل .. عزيز ..

— هل تعرفين عزيز من قبل ؟

— نعم ..

— وهل بادلتيه بشيء من المودة ..

— بادلته .. وسلمته قلبي وفكري ...

— وبعد ..

— فقد جعلته ، سلطان حياتي .. ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

— لا اريد الزواج به وكفى !!!

— أليس هو درزي .. ومن عشيرة معروفة ؟

— لا أعلم عنه شيئاً .. وانما جل ما أعلمه .. انه درزي بقلبه .. يحبني وكفى ...

— كيف يجسر ، على طلب يدك ، يامرمر ...

— أنت لا تعرفينه .. فطلبه يدي ، وهو يعلم الخطر المحدق به ، يزيده جلالا على جلال .. اف من العادات ، ياعصمت .. فما قيمة العقيدة ، والشرف ، والنبل ، حتى الحياة ان كانت كلها ، أغلالا ثقيلة ، يرزح تحت عبء تقاليدها ، ونظمها ، عظماء الفكر

وكبيرات النفوس ... قلب المرء ، تكبله التقاليد ، بخيوط الاوهام ، فلا تسمح له ، أن ينبض لعزيز ، أو أن يحب من يختار ... مهزلة المهازل ، أن تسطو الانظمة العتيقة البالية ، على الانظمة الجديدة الراقية . أو على الحب الطاهر النقي ، فتجرده من العاطفة الوثابة ، والشعور الحي ، والاحساس الشريف ... حتى يصبح ضعيف السلطان ، لا حول ولا ... ثم خارت قواها وسقطت على المقعد ، فاقدة الرشد ... فحزنت عصمت ، على حزن صديقتها ، وبعد أن طوقتها بذراعيها قالت لها :

— أنا فداك يامرمر ، يافتاة بني معروف .. سيري في حبك واتركيني ادبر الامر ..

آه ياعصمت .. أبصرت نور الوجود ، لا أم ترضعني لبانها ولا صدر يحن علي ، ولا شريعة ترحمني بقلبي .. صديقتي عصمت أريد أن يرحل ... أريد أن يغادر الجبل ... والا ، مت من سكتة قلبية ... بلغيه ارادتي ... أسمعت ، بلغيه ارادتي .. قولي له الوداع ... آه ياعصمت : الفلاحات في حقولهن ، يتمتعن بنسيم الحرية ، اكثر بكثير من نساء الزعماء ... لماذا هـذا ؟ أليست الفلاحة ، من دمنا ؟ اليست الفلاحة ، درزية ؟ لماذا هي

وكبيرات النفوس ... قلب المرء ، تكبله التقاليد ، بخيوط الاوهام ، فلا تسمح له ، أن ينبض لعزيز ، أو أن يحب من يختار ... مهزلة الهازل ، أن تسطو الانظمة العتيقة البالية ، على الانظمة الجديدة الراقية . أو على الحب الطاهر النقي ، فتجرده من العاطفة الوثابة ، والشعور الحي ، والاحساس الشريف ... حتى يصبح ضعيف السلطان ، لا حول ولا ... ثم خارت قواها وسقطت على المقعد ، فاقدة الرشد ... فحزنت عصمت ، على حزن صديقتها ، وبعد أن طوقتها بذراعيها قالت لها :

— أنا فداك يامرمر ، يافتاة بني معروف .. سيري في حبك واتركيني ادبر الامر ..

آه ياعصمت .. أبصرت نور الوجود ، لا أم ترضعني لبانها ولا صدر يحن علي ، ولا شريعة ترحمني بقلبي .. صديقتي عصمت أريد أن يرحل ... أريد أن يغادر الجبل ... والا ، مت من سكتة قلبية ... بلغيه ارادتي ... أسمعت ، بلغيه ارادتي .. قولي له الوداع ... آه ياعصمت : الفلاحات في حقولهن ، يتمتعن بنسيم الحرية ، اكثر بكثير من نساء الزعماء ... لماذا هـذا ؟ أليست الفلاحة ، من دمنا ؟ اليست الفلاحة ، درزية ؟ لماذا هي

وليرحل .. عزيز ..

— هل تعرفين عزيز من قبل ؟

— نعم ..

— وهل بادلتيه بشيء من المودة ..

— بادلته .. وسلمته قلبي وفكري ...

— وبعد ..

— فقد جعلته ، سلطان حياتي .. ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

— لا اريد الزواج به وكفى !!!

— أليس هو درزي .. ومن عشيرة معروفة ؟

— لا أعلم عنه شيئاً .. وانما جل ما أعامه .. انه درزي بقلبه .. يحبني وكفى ...

— كيف يجسر ، على طلب يدك ، يامرمر ...

— أنت لا تعرفينه .. فطلبه يدي ، وهو يعلم الخطر المحدق به ، يزيده جلالا على جلال .. اف من العادات ، ياعصمت .. فما قيمة المقيدة ، والشرف ، والنبل ، حتى الحياة ان كانت كلها ، أغلالا ثقيلة ، يرزح تحت عبء تقاليدها ، ونظمها ، عظماء الفكر

الغرفة . وتدل ملابسهما : أن الرجل خادم ، والسيدة مخدومة ، وبعد أن رحب الشيخ علي بهم ، دار الحديث الآتي :

ـ انت تعلم يا شيخ علي ، ان الذي دفعنا للمجيء الى هنا ، في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، هو اتفاقنا ، في قرية (الشيخ مسكين) بحوران ... وهي الليلة المعهودة ... بحضور ...

ـ كفى ... وبعد ان تنهد قليلا ، رفع رأسه وخاطب السيدة قائلا : مالنا ولتلك الليلة ... الليلة المشؤومة ... عسى أن يكون هذا الاجتماع ، بحضور الشيخ خليل ، فجر سعادة وحياة ... اين رملك الآن

ـ الرمل لا يكشف مرتين .. وانما جئت بشيء أهم من الرمل ...

ـ الفنجان..

كلا ...

ـ مندل ؟ أو تنويم مغناطيسي

ـ لا هذا ولا ذاك ... بل هو أشد هولا ، من اعمال السحرة والمنجمين ...

ـ لا اخشى شيئاً في الوجود ، بعد طلائع الرمل في تلك الليلة

ـ جئت لا كشف كل ما يحصل لك، يوم تنتقل روحك الى الصين؟

ـ خرافة صبيانية ، ولا شك ؟!!!

ـ وفي اي هيئة ستتقمص ؟ ! ! !

ـ عجيب ؟ ! أوهام والله العظيم ...

ـ لا ، بل هي حقيقة ، يسلم بصحتها ، الشيخ خليل ، أليس كذلك ياشيخ ؟

ـ نعم . . قال ذلك . . ولا نعلم ، هل ان الشيخ ، قد صدق على هذا الوهم . أم ان له من وراء ذلك التدجيل ، مأرب خفي .. سنرى ...

ـ وسيكون تقمصك ، في جسم أفعى ، هـذا اذا لم تفتدى نفسك ، بفتاة ذهبية الشعر ، جذابة العينين ، بيضاء البشرة ، مجوهرة اللون ... ومتى تم الفـداء يهبط ملاك من السماء يكون طوع سلطانك ...

ـ كيف هـذا ؟ أيقبل الله ، أن يضحي الانسان ، بأخيه الانسان ، ليكون دمه فداء للتدجيل ؟

ـ كلا ... لاأريد بها شراً ... لماذا تغير لون وجهك ؟

ـ كفى ... قلت لك في المرة الاولى ... من الصعب ، أن تضعي في قلب درزي ، شيء من الخوف ، فالغاية تبرر الواسطة ...

ـ معاذ الله ، أن أضع الخوف في قلبك ، وأنا أريدك سالماً شجاعاً ...

ـ والله ياسعاد ـ عشرة أيام ، وأنا في حالة من الذهول ، لا أعي على شيء ...

ـ هـذا الذهول يتلاشى ، عندما تسلمني الفتاة ، في خربة الحريري ...

ـ ماذا تكون ، نهاية الفتاة ؟

ـ خيراً ... هذا من جهتها ... وسعادة ـ لم يحلم بها النبي سليمان في مجد سلطانه — من جهتك ...

ـ افصحي ...

ـ قلت لك ، ان الامر ومافيه ، هو خلاص الجبل ، من شؤم طلعتها ...

ـ افصحي ! ؟

ـ وخلاصك من التقمص بالافعى ...

ـ أريد شرحاً كافياً ...

ـ أقول: انني رأيت في علم الله ... ان جيشاً من وادي النيل سيهاجم الجبل ، ويفتك بزعمائه ، ويسبي نسائه ، كل هذا سيحل

بالجبل ، لأنه تمخض فولد فتاة ، هي شؤم عليه ، وعلى سكانه ، فالله عز شأنه .. أراد أن يطهر الجبل ، من هذه الصدمة الشديدة فارسل يدٍ من نور ، تختطف هذه الفتاة ، لتعيد الى الجبل سعادته وتحفظ حياة زعمائه ... وبعد هذا ، ستحل النقمة على الامير يحيى ويتولى الشيخ خليل الزعامة ... وهذا قضاء من الله ، فلا مرد لقضائه . اليس كذلك يا شيخ خليل ؟..

— صدقت ... فوقف الشيخ علي مذهولا وقال :

— صواباً نطقت ياسعاد . فالجبل ، من سبعة عشر سنة ، وهو في تأخر مستمر ، حتى أن والدة الفتاة ، قد توفت ، عقب ولادتها ... وفي ساعة ، كانت العشائر فيها فرحة ... ياللشقاء ... ولكن ...

— ولكن ! أنا أعلم ، أن عمها الامير يحيى ، يحبها حتى العبادة ، وهذا راجع للجاذبية ، التي استمدتها ، من شياطين الشؤم ، لتصبح العشائر طوع أمرها ... تسيرها بارادة الامير يحيى ... ولم تكتفي بذلك فقط ... بل جعلها الشيطان ، شراً وويلا ، على العقيدة الدرزية ، ان لم ...

ـ ان لم تمت ... هذا ما قاله الشيخ خليل بغضب جهنمي

مصطنع ، وخرج ليفسح المجال لسعاد ...

التقمص في بلاد العجوز

خرج الشيخ خليل ، فتنفست سعاد الصعداء ... ثم التفتت ، الى الشيخ علي وقالت :

ـ أريد كانون حديد ، توقد فيه الفحم ، على أن يكون ... من خشب السنديان ...

ـ لماذا ؟

ـ هذا شأني ! ؟

ـ لك ما تريدين ... انتظريني عشرة دقائق ...

ولم ينتهي من جملته الاخيرة ، حتى فتح الباب ، الموصل الى غرفة زوجه ، فوجدها ، غارقة في سبات عميق ، فلم يرتاب بها ظناً منه ، أنها لم تطلع على شيء ... ثم فتح باب آخر ... وخرج منه ، لاشعال النار ... وفي الحال قفزت من فراشها ، وتقدمت الى الباب ، لتكتشف ما يجري فيها ، في غياب زوجها ، ولم تضع اذنها على شق الباب ، حتى سمعت السيدة ، تخاطب الخادم بقولها :

ـ عند ما أطفىء النور ، وأبدأ بعملية التبخير ، اشتغل أنت في عملية الاصوات المختلفة ، ليتوهم الشيخ علي ، أن الاصوات صادرة من الصين ...

ـ لك ذلك . ولكن لو علم أحدهما ، أن خادمك ، هو سيد مطاع ...

— ليس الآن ، وقت كشف الاسرار ياحسن . احترس من شقشقة اللسان ...

— اياك والعب بالنار ... أنا لا أرغب الا الانتقام من الحارس ... ومن ...

— لم أعد أخافك ياحسن ... هل تجهل ، ما صنع الحداد فى الخربة ...

— كيف أجهل مكر حواء ... ولكن (شلاب) على غيري ... ثم طوقها ، وقبلها قبلة ، ولا قبلة الذئاب ...

وبينما كانت عصمت ، تراقب حركات الدجالين ، وتسمع حديثهما ، شعرت بحركة زوجها ، فتراجعت الى فراشها . وهنا مر الزوج ، والكانون في يده ، ولسان النار ، يتدلع على جوانبه الى أن دخل ، ووضعه في وسط الغرفة . وأراد أن يكلم سعاد . شمعه

حسن من الكلام ، احتراماً للارواح ، التي تستحضرها ، لتكتشف لها ، ما تريد كشفه . فخضع الشيخ علي للأمر . وقبل أن يجلس في زاويته ، أطفىء النور ، فظلمت الغرفة ، ثم استنارت بلون غريب ، من البخور ، المتصاعد من المستوقد . وسعاد تتمتم وتعزم وتتلفت شمالا وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، ثم سمع صوت ، كانه صادر من كبد السماء يقول : انتقلوا الى الصين ...

فعندها أمرت سعاد ، بالصمت والسجود ، للجيش الروحاني وبعد لحظة تخيل الشيخ علي ، أشباح ، كجيش منظم ، يسير . وفي طليعته سعاد ، تعزم باسماء وتذكر الفاظ ، لم يسمعها من قبل وفي اثناء هذا المشهد ، سمع أصوات من كل أطراف الجيش تقول : النور النور يابنات حواء ... البخور البخور ياخدمة الهيكل ...

فعبق البخور ، في الغرفة ، على أثر هذه الاصوات ، كانه عنبر وزيزفون ... الى أن امتد ضبابه ، في جوانب الغرفة ، فصيره كامواج مختلفة الالوان تطلاطم ، وفي هذه الحركة ، شعر الشيخ علي ، بدوار خفيف ، كانه مخدر ، أوقف النطق بحلقه ، مع بقاء حاستي السمع والنظر ، حيث شاهد وسمع بهما ، أشباح ، تسرح

وتمرح ، وتغني بانغام شجية ، بلغة صينية ... ثم تحول به المشهد الى عاصمة الصين ... كأنه في شرفة ، يطل منها على ملايين من الامم ، المختلفة اللغات ... فتوهم ، أنه في يقظة ، وان كل مايراه حقيقة ، لاغبار عليها ، مما جعل في حواسه الخمس ، نمواً محسوساً يوجب التصديق ... فاندفع الى الاوهام ، التي سمعها من سعاد حتى جعلها أمام مخيلته ، تحت أمر واقع . فرأى ، ويا ليته لم ير . رأى الفتاة الحسناء ، ساجدة أمام أتون من نار ، في داخل معبد الصين . وسمعها تتضرع الى الاهتها ، أن تشعل نارها ، في جبل الدروز ، حتى تحرق الاخضر واليابس ، وتتصل بسكانه ، حتى يعودوا طاهرين ، الى وطنهم الخالد في الصين ... التي هي جنة الدروز ... ثم تتطلعت اليه بغضب ، وقالت له : قبل أن تسلمني سأجعلك افعى ... وهنا ... اندلع لسان النار نحوه ، وأحاط به احاطة الخاتم بالبنصر ... ولما شعر بنار محرقة ، تحرق جسمه ، استنجد بفتاة المغرب ، لاطفاء هذا اللهيب ، حتى لا يتقمص بافعى ... وبينما الشيخ ، في ذهوله ، الخيالي ، الوهمي ، سمع صوتاً يأمره : سلم الدرزية تسلم ...

ولم يسمع هذا الصوت ، حتى هجم على الحسناء ، وقبض عليها

بكلتا يديه ، من غير شفقة ، وسلمها الى فتاة المغرب سعاد ، فأخذتها منه ، وطارت بها نحو السحاب ... وفي هذه اللحظة ، تلاشت النار ، كأنها لم تكن ... وشعر كأنه في جنة النعيم ، يسرح ويمرح ، مع حوريات الجنة ، يأكل ويشرب ، ما لذ له وطاب ، من خيرات الدنيا والآخرة ...

وبينما هو في سكرة السعادة ، سمع صوتاً عظيماً يقول : عملك هذا قد خلدك ، سعادة عظمى ... هذا ولم يشعر ، الا ويد وضعت على جبينه ، فاستيقظ مذعوراً ، من هول ما شاهده . فاذا به ، يرى نفسه ، أمام مستوقد ، تعلوه الرماد ، وسعاد واضعة يدها اليمنى ، على جبينه وهي جالسة على الجانب الامامي ، من المستوقد ، ونظراتها المغناطيسية ، تحدق بالشيخ ، كأنها تأمره ، بتسليم الفتاة ... فاختلجت أعصابه وقال :

— غداً عند منتصف الليل ، نجتمع في خربة الحريري ...

عصمت بين نارين

كل هذا حصل ، والست عصمت ، تراقب مايجرى في الغرفة

بكل ما أوتيت من حكمة ودهاء ... ولم تنتهي المهزلة ، حتى انقلبت السيدة ، كانبوة الفاقدة أشباهها . والحقيقة ، ان موقفها كان خطراً ، وخطراً جداً فان كشفت القناع لزوجها ، لاتأمن تصديقه . وان أغضبته ، لا تحتمل كلمة الطلاق ، وهي ذات أولاد ... فضلا عن العقيدة الدرزية ، التي تأمر بالفراق الابدي وليس هذا فقط ، بل لا يجوز للمطلق أن ينظر الى مطلقته حتى عن بعد ، ولا يجوز لهما ، أن يسكنا في بلد واحد . فجلاء أحدهما عن البلد أمر لا بد منه . مهما كثر عدد البنين والبنات . هـذا لسان من نار ، يلذع قلبها ، فيهددها بالخطر المحدق بها ، وهذا هو العامل الاول الذي أشغلها كثيراً . وأما العامل الآخر ، فكان أشد خطراً عليها من الاول ، ان هي اهملت فتاة ستقع فريسة بين مخالب ذئاب ، لا يرحمونها . كيف لا وقد اقسمت على مناصرتها عند محنتها . واي محنة اشد من بهش الذئاب . وهذا هو لسان آخر من نار ، يحرق ضميرها الحي ، فيحرك شعورها ، الى الواجب المطلوب منها . وبعد ان وزنت بين اللسانين ، وأي لسان هو أشد ألماً عليها ... تأملت ... وتأملت ، الى ان ضحكت من نفسها ، وعلى نفسها ... فالتحفت فراشها ، ونامت ... دون ان تشعر ...

بدخول زوجها عليها ...

عواصف الليل

قبيل منتصف الليل ، وبالقرب من خربة الحريري ... شخص يتسلل بين الصخور السوداء ، حتى اذا تبينه القارىء ، يجده فارساً ملثم الوجه ، عبوساً ، وبوادر الغضب والارتباك ، بادية عليه ، من تجعد حاجبيه ، وتقلب عينيه ، التي تقدح شرراً ... واذا تحقق حركاته ، لوجد بيد الفارس ، شيء يلمع ، كأنه يحمل ناراً ، أو ينتظر صيداً ...

وفي هذه البرهة ، ظهر عن بعد ، كيلو متراً ، من الخربة شخصان آخران ، يتسللان تحت ظلام الليل . ولم يقتربا ، من الطريق العمومي ، حتى بادرهما صياد الليل برصاصتين ، رصاصة أصابت مقتل الاول ، فألقته مخضباً بالدماء ، والاخرى أصابت فخض الثاني فسقط على أثرها ، الى الارض مغمي عليه . ولما اطمئن قلب المجهول ، من الاصابتين ، تقدم نحوهما كالاسد الغضوب ، ومزق ثيابهما ، وأخذ ما فيهما ، من الاوراق والحشائش ، ليعرف

شخصيتهما ، فيما بعد ... ثم تناول غدارتيهما ، وأطلق منهما ، ظرفين في الفضاء ، وتركهما في جانبهما ، ورجع عن طريق السويداء نحو بيت الحسناء ، كأنه لم يحصل شيء ، يكدر خاطره ...

وعند منتصف الليل ، نزلت الدرزية الحسناء ، عن جوادها وأقبلت على عين المزرعة لتروي غليلها ، وتسقي جوادها وبالقرب منها ، الشيخ علي حمدان ، ممتطياً جواده ، وواقف ينتظرها على قارعة الطريق . وبعد أن أرتوت بكفيها ، وسقت جوادها ، من الحوض ، تقدمت نحو الشيخ ، وقالت له :

— أحقاً انه مريض ... وهو يدعوني اليه ؟

— ألست أمينة مني يا عزيزتي ...

— بارك الله في همتك ياشيخ علي . كيف لا يطمئن قلبي اليك ، وأنت ، أعز عزيز ، بعد والدي ...

— حقاً لقد نطقت بالصواب ...

— خسئت يانذل الرجال ، كيف تكذب ، وأنت تقودها الى الموت ؟!!!

فاختلج صدر الشيخ علي ، وقبل أن يمتشق حسامه ، وضع المجهول غدارته في ظهر الشيخ وقال : ارمي سلاحك في الارض ،

وارفع يديك الى فوق ، فرفع الشيخ يديه ، بعد أن حل حزامه ورمى الارض به غاضباً ...

نزل المجهول عن جواده .. ووضع رجله ، على السيف والخنجر وأمره بالذهاب ، الى الخربة لوحده ... ثم أشار الى الفتاة ، بالمسير أمامه ، بعد أن تناول الخنجر والسيف ، من الارض ، وسار وراء الحسناء على جواده ، وهو يقول : اذهبي الى منزلك ، والويل لمن يمسك بضرر ...

ـ هل اتشرف باسم منقذي ؟..

ـ صياد الليل ...

ـ انت لم تصطاد ... بل أنقذت ... يا فارس الليل ... اريد معرفة منقذي ...

ـ لم يحن الوقت بعد ، ياحسناء ... بسلامة الله ... ثم عرج نحو منزله ... نحو بيت ... في السويداء ... والحسناء وصلت منزلها والاسرار تكتنفها ، لا تعرف لالغازها حلا ...

في منزل عصمت :

نامت العيون ، وعين عصمت لم تنم ، وهي تتقلب على فراشها لاتدري اي جنب يريحها ، والاضطراب النفساني ، شاغل معظم افكارها . واهمه ، انتظار زوجها ، لعلمها بالموعد المضروب ، في خربة الحريري ، عند منتصف الليل ...

واما زوجها ، فقد كان بالوقت نفسه ، اشد هولاً من اضطرابها ، حيث تركناه ، حاقداً ، ناقماً ، في طريق عين الزرعة ، بعد انخذاله ، الانخذال كله ...

سار الى الخربة ، وهو لا يعلم ماذا يقول لهما . وصل الشارع العمومي .. تقدم ... وجد جثة قتيل ... جثة مضرجة بدمائها ... تبينها ... فاذ هي ، جثة صاحبه حسن ... استغرب الحادث واستفظعه ... تحول الى ناحية اخرى ... سمع انين ... تقدم ... وجد سيدة ملقاة على الغبراء ... الدم يسيل من فخذها ... تبينها ... فاذ هي سعاد ... سعاد الساحرة ... اذن سيموت ... اذن سيتقمص ... افعى ... ما العمل ... ابواب

مقفلة... مفاتيحها مفقودة ... اين ... اين اجدها ؟ لا اعلم ! مرت الافكار بمخيلته مرور البرق ... ثم استيقظ لنفسه ، وتقدم نحو سعاد ، يسألها الخبر فاجابت :

ـ لا اعلم ... وجل ما اعلم ، ان يد مجهولة ، اصابت منا مقتلا وسرقت اوراقنا . واوراقي لاتهم ، غير شخص في الوجود . فانا اتهمه ...

ـ من هو هذا الشخص ؟

ـ هدا سر ، لا ابوح به ...

ـ هذا شأنك ... ولكن الفجر ، قد قرب ، فما العمل

ـ العمل ، هو ان اركب جوادك ، واخرج به من الجبل ، قبل طلوع الفجر ...

ـ لماذا ؟

ـ حتى لا اسأل ولا اسأل ... ثم نلتقي بعد الشفاء ... لأنتقم ...

— انشاء الله ...

اعتلت سعاد ، جواد الشيخ علي ، وهي في غاية من الالم ، وبعد أن أستقرت على ظهره ، أطلقت له العنان ، حيث سار بها ،

يهب الارض ، ولجامه نحو حوران ...

وأما الشيخ ، فقد رجع الى منزله ، قبيل شروق الشمس ، وهو بحالة شديدة ، من التعب والغضب ... فاستقبلته زوجه ، بما عهد بها من اللطف والمودة ، وسألته :

— أين كنت الى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ ..

— كنت في جهنم ...

— أعاذنا الله من النار ياعلى ...

— كنت في سعير ، أحر منها ...

ـ لقد أرعبتني ياهذا ؟ ..

ـ اخرسي ، كل شر في العالم ، أصله المرأة ...

ـ وكل خير مصدره المرأة أيضاً ، فهي ملاك ان أحسنتها ...

ـ والله ما هي الا ...

ـ ريحانة الارض ...

ـ خسئت ، ما هي الا شيطانة ...

ـ شيطانة ان أفسدتها ...

ـ مالك ومال الشياطين ياعصمت ...

ـ صدقت ... ألست بحاجة الى الراحة ؟ ...

ـ كلا .. بل أريد الذهاب الى نجران ...

ـ أفي هذه الساعة ياعزيزي ؟ ...

ـ أنا بحاجة الى الفرس الحمراء ...

ـ والادهم ...

ـ قلت تلك الفرس الحمراء ... يا بنت ...

وقبل أن يشتمها ، خرجت وعادت بفرسه الحمراء فاعتلاها ، وسار بها في طريق نجران ...

مؤامرة بعد اتهام

ولم ينتصف اليوم الثاني ، حتى شيعت جنازة القتيل (حسن الحريري من حوران) والعشائر لا تعلم شيئاً ، عن علاقة سعاد برفيقها ... كما انه لم تعرف أسباب هذه الجناية ، سوى اشاعة سرت كالبرق ، بين القبائل والمضارب ان القاتل هو عزيز ... وعزيز لم يخرج في ذلك الليل العصيب ، من مضافة الحارس ، كما شهد له بذلك ، زوار المضافة ، والفارس الاسود ... وأما الاشاعة فقد اتخذت شكلا جديداً ، تؤيد اتهام عزيز ، أمام الامير يحيي ...

فلم يجد الامير سبيلاً لارضاء العشائر ، الا استحضار عزيز ، ووضعه في غرفة خاصة ، كوديعة لنهاية التحقيق ، مع الاقتناع ببرائته ... وفعلا استحضره بخديعة ، وأودع السجن الاستثنائي ...

وفي الوقت نفسه ، كان الشيخ خليل الحمدان ، صاحب نجران ، والامير فارس ، وحاشيتهما ، عاقدين مجتمعا سرياً ، في خرائب القلو ، التي تبعد ساعتين ، عن السويداء ...

وخلاصة هذا الاجتماع ، ينحصر في امرين لا ثالث لهما :

الاول — القضاء المبرم على زعامة الامير يحيى ، ومساعدة الشيخ خليل ، للوصول الى امارة الجبل ...

والثاني — الانتقام من الهدهد ، او عزيز . ومساعدة الامير فارس لاتمام عقد زواجه على الفتاة ، طوعا او كرها ... وعلى هذه الخطة ، افتتح الشيخ خليل المؤامرة ، بالحديث الآتي :

— القاتل هو الهدهد ، هذا ما نريد ان يكون ، وعلى هذا المبدأ : لا يجب ان يخرج المجهول من جبل الدروز حياً ، بعد ان تعرض لاسم الفتاة ، فضلا عن تحديه الامير المحترم وانا والله لقد

اصبحت ارتاب بدرزيته وجنسيته . فالانتقام الانتقام ، قبل ان تنخفض كرامة الدروز ، في مضافات العرب ...

— انا من رأيك ، ومما يساعدنا على اتهامه ، امام الامير يحيى الذي وضعه تحت كنف حمايته ، شاهدان ، سأسعى لايجادهما . وهذا عدل ، اليس كذلك يا أمير الجبل المنتظر ؟

فوقفت حاشية الامير ، وقالت بصوت جهوري : نحن فداك يا امير ، وكلنا شهود عدل على الهدهد ...

— بارك الله في هذه الهمم ... ويجب ان لا يمس الدرزي ، الا درزي مثله ...

فارتاح الشيخ خليل ، لهذه الاشارة الاخيرة وقال :

— يجب على كل منا ان ينشر الدعاية ، ويدس الدسائس بين عشائر جبل الدروز وحوران ، ليعلنوا استيائهم ، ويطلبون محاكمة القاتل (السن بالسن) وبهذا وحده ، نتخلص من مزاحمته ونرضي العشائر الحورانية ، التي تتحفز للاخذ بالثأر ، فتصبح اميرة الصحراء ، ملكا لسلطان الحب ...

فضحك الامير كثيراً وقال :

— وبعد ذلك ، نقيم الادلة والبراهين على سوء تصرف الامير

يحيى وظلمه ... وانه لم يرعى حرمة الضيف ، ولم يحفظ تقاليد الدروز وعاداتهم، وبهذا نملك عواطف العشائر ، ونضرب بها وجه الامير ونقول :

— مات امير السويداء ، عاش امير نجران ...

— هذا فضل من الله ..

ـ وهو قريب ان شاء الله ...

ـ هذا اذا لم تقع الحرب ، بيننا وبين ابراهيم باشا المصري فعادات الدروز تقضي بترك الضغائن الشخصية ، في زمن الحرب

ـ هذا هو المطلوب ، وبعد الحرب يكون المرغوب ...

ـ اصافحك على الدم يا أمير لبنان ...

ـ اصافحك على الدم يا أمير نجران ...

وارفض القوم وهم لا يعلمون أن وراء الاكمة ما وراءها ، من عيون وأرصاد ...

الامير ونصوحاته :

أما الامير فقد ذهب الى غرفته ، وارتمى على سريره، الحجري يخاطب نفسه بنفسه :

خمس سنوات مرت ، وأنا اتطلع الى نموها؟ الى اخضرار أغصانها الى وسعة أوراقها ، الى تفتيح ازهارها . كل يوم كنت اسجد لله أن يزيدها مدداً وجمالا وحياة ، وأنا بقربها سعيد . ولما اشرق جبينها ، وبرزت أعطافها ، وأصبحت رونقة النفوس ، بعدت ... واقصتني عنها بمراحل ... لماذا ؟ اليس لي حق الاسبقية ، في هذا الجمال ؟ ...

آه من سلطان الحب ، الذي يتسلط على القلوب ، فيدميها .. وعلى الامم فيستعمرها ، وعلى الجبال الشامخة ، فيدكها . وهو جالس على عرشه ، والارض ومن عليها ، تسبح بمجده ، مجد الحب واله الحب ...

اف منك ، يا دكتاتور الاستعمار ، كيف تجعل الانسان ذليلا مهاناً ، حتى العبودية ، ولم تكتفي بهذا فقط ، بل تحقر تلك النفوس الابية أو تضعفها ، حتى تطرح البخور ، على اقدامك ، ثم تقودها الى الصحراء ، ساجدة . وهناك ... تكتب على قبورها هنا ترقد ضحايا المحبين ...

مهلا يا قلبي ، فلكل داء دواء ... ولكن الغيرة ... الغيرة نارية ، ونارها لا تطفىء ... كما أن الحسد ، قد أكل من لحمي ،

وشرب من دمي ... آه ما العمل ؟ ربي ! هل حقيقة ماسمعت... وان مرمر لا تحبني ؟ بل هي تحب الهدهد أو عزيز ؟

كلا والف كلا ، ان هذا لايكون وأنا أمير ...

اتبغضين اميراً ، وتحبين غريباً ، لاحسباً له ولا نسب ؟؟ يجب ان اتحقق الامر بنفسي ... واويل له ان احبك ، واويل لك ان سامحت نفسك له ....

عزيز في السجن

ثم انتهى معه الامر ، ان ذهب الى عزيز في سجنه ، بعد ان افتقد خنجره ، في حزامه ، ليكشف له حقيقة هذا السر ، الذي جرح فؤاده . فوجده نائماً ، ونومه كان من شدة عياءه في التفكير عن طريقة ، تنفذه من سجنه ... فتقدم الامير اليه ، ووضع يده على كتفه وهو يخاطبه هازئاً : اسعد الله اوقات العزيز ..

فاستيقظ عزيز ، والتفت بالامير وخاطبه باحتقار :

— اشكر الامير على زيارته ... ورقف على قدميه كالاسد الكاسر ، واستعد لكل طارىء ...

ولما شاهد الامير، حركة عزيز غير عادية، وضع يده على الخنجر، والتصق بالحائط، وهو ينظر اليه نظرات الحقد والضغينة

فضحك عزيز من شكله الجنوني، وقال له:

ـ اتيت الى السجن، لتري فيه سجين الظلم والاستبداد، أليس كذلك؟

ـ جئت لاطلق سر...

— دع عنك هذا الخبل، واسمع ما أقول:

من آذن لكم بالقبض علي؟ من وافق على سجن شخص، لم يسفك دم انسان؟ أهذه هي شهامة الدروز؟ أهذه هي كرامة الضيف؟

فوالله، لو كان الحارس في السويداء، لما تجاسر، أي مخلوق على غدري، فاذا كنت أمير، ابن أمير، فبأرزني؟!! لا، فالجبان لا يبارز الفرسان، اليس كذاك؟

— علمت بانهم حكموا، أو سيحكمون عليك بالموت، غداً أو بعد غد. وعلمت أن الحوراني، لم يقتل من يدك وعلمت أن الفأس معد لك. وبعد أن علمت كل هذا، جئت لأعرض عليك حريتك

فأن أردتها ، سرت أمامك في طريقها ، ومتى سرت أمامك ، لا يجرأ أحداً من الدروز أن يقف في سبيلك ...

— اظن ان مساومتك ، غالية الثمن يا أمير ...

— بالعكس فهي تتوقف على كلمة تخرج من فيك ...

— أأتنازل لك عن ...

— لا . بل اريد ، أن تفيدني ... هل ان الحسناء تحبك . وأنت تحبها ...

— اني أحب جلالها وجمالها ...

— وهل هي تحبك ؟

— كلانا في الهوى سوى ...

— وهل تعارفتما ، في غير هذا المكان ؟

— في مدينة الحرية بيروت ، تعارفنا . وتحت سما. شواطئها اجتمعنا ...

ـ هل اجتمعتما كثيراً ؟ ...

ـ سبعة فصول من عامين ...

ـ سنة وتسعة أشهر ، يالهول ما أسمع ...

ـ وهناك ، تعاهدنا أيضاً على الوفاء ...

ـ اريد أن أعرف السر ...

ـ وأما عن السر ، فلا تسأل ، لأن السر من أمر قلبي ...

فاضطرب الامير ، من عبارته الاخيرة ، كأن سهم طعن فؤاده ، فعلت مراجل الحقد في صدره ، من شدة الغيرة ، فاشهر خنجره ، وهجم على عزيز ، وهو يقول :

ـ الويل لك ، أيها اللئيم ، فقد طوقت الحسناء ، وضاجعتها ، وظفرت بوصالها ، لهذا يجب أن تموت شر ميتة ، يا كلب السوء...

ـ خسئت يا أنجس الكلاب ، فعفافها أطهر من ان يلوثه نذل ، بشقشقة لسانه ... وصدمه بيديه الفولاذيتين ، صدمة مستقتل ، قبض باليسرى على خنجره ، وباليمنى على عنقه ، وضغط عليه ، بما اعطاه الله من قوة . فارتخت مفاصله ، وجحظت عيناه ، وتدلت شفتاه ، فوقع الخنجر من يده . ثم سقط على الارض ، فاقد الحركة والحس ...

وفي الحال ، نزع عباءة الامير ، والتف بها ، واخذ كوفيته وعقاله ، ووضعهما على رأسه ، وخرج من رواق الامير ، ماراً أمام الحراس الذين حيوه بالسلام والاحترام ... دون اي اعتراض... ولما بلغ الشارع ، تنفس الصعداء ، واسرع يعدو نحو خربة سميع

ماشياً على الاقدام ... وهناك قابله الفارس الاسود ، الذي سبقه اليها ، ليجعلها مقراً سرياً له ، ولسيده بعد فراره ...

في فحوم الليل

وبينما كانت عشائر حوران ، تستعد للأخذ بثأر قتيلهم الحريري من الدروز ، وكان عزيز يستعد أيضاً ، لتأليف عصابة ، بواسطة امواله وفارسه الاسود ، لرد الخطر عنه ، والوصول بها ، الى خطف حسنائه ، من بين براثن الاسود . كانت عشائر الدروز بالوقت نفسه ترغي وتزبد ، غاضبة ناقمة ، على عزيز ، بعد ان اعتدى على ضيفهم الامير ، وفر من السجن . والزعيم الفارس منهم ، ينتخي امام الامير فارس ، ويقسم على قطع رأس عزيز . ولكن اين لهم ان يطالوه بأذى ، وقد اصبحت عربان اللجاه ، وفي مقدمتهم ، الفارس غصوب ، برجاء من الحسناء ، تشد ازره ، وتصونه من غدرات الزمان ...

وأما السيدة عصمت ، فقد أصبحت لا تفارق عزيزتها مرمر ، سواء كان ذلك ليلا أم نهاراً ، لغياب الحارس في لبنان ... ولم

تكتفي بهذا فقط . بل جمعت شتات المرأة الدرزية ، من عرائس وأوانس ، تحت زعامة الآنسة مرمر ، التي كانت تلقي عليهن ، محاضرات اصلاحية ، لاستعدادهن ، لعقد مؤتمر نسائي ، يكون فجراً نيراً ، لتنوير المرأة العربية ، في الصحراء ... وتأييد حقوقها وحريتها . ومع كل ما تقوم به مرمر من مجهود ، لم تنس واجبها ، نحو ضيفها وحبيبها ، بعد أن علمت ، ما آل اليه أمره ، وما هي عليه العشائر من حقد ، بسبب الدعاية ، التي يقوم بها الامير فارس ... فتساعده سراً ، بوساطة عصمت ، التي كانت تطلع عزيز ، عن المؤامرات ، التي يعقدها الامير ... دون أن يعلم عن مصدر هذه المساعدة ...

واذا انتقلنا الى الامير فارس ، وصاحب نجران ، والشيخ علي نجدهم لا يتركون فرصة ما تمر . الا ويعقدون ، مؤامراتهم السرية وآخرها قرروا فيها اعلان الثورة ، على الامير يحيي ، واحداث المشاغبات ، بين العشائر ، لتعم الفوضى في الجبل ... وفي وسط العاصفة الهوجاء يهجمون على الامير يحيي ، ويخطروه ، بالجلاء عن السويداء اطاعة لزعماء العامية . فأن أبى قتلوه . وان أطاع ولوه زعيماً على عرى . وبعد أن يستولوا على السويداء وينادوا بصاحب نجران ،

أميراً على الجبل ، في عاصمة السويداء . يقبضوا علي زمام الحسناء ويعقدون زواج الامير عليها ... رغم أنف والدها ... وبعد أن قرروا ما قرروا ، خرج من وسطهم ، فارس ملثم وقال :

سوف لايتم هذا ... فالحرب على قاب قوسين أو أدنى ... ولم يتبينوه حتى صار وراء الصخور ... فغضبوا ... ولكن دون افادة ...

وفي غسق الليل ، ومن وراء ستار الظلام ، دخل السويداء ، فارس أمرد الوجه ، صفراوي اللون ، يتبعه فارسان ، مدججان بالسلاح ، وساروا جميعاً ، في طريق وعرة المسالك ، نحو خرائب اللجاه ، كأنهم ، قد اعتادوا معابر ومسالك تلك الخرب ...

في مضرة ابراهيم باشا :

وبعد هذه الجلبة والضوضاء ، سهت العيون وتخدرت الاعصاب فرقدت الاشباح آمنة مطمئنة ، على وعيدها ، ووعودها ، أحلامها وأوهامها ، سيرها وخططها . وفي الصباح صدحت موسيقاها على أنغام متضاربة المشارب والمآرب ، ولكنها جهلت ، أو تجاهلت ، أن نظام القضاء والقدر هو فوق كل دهاء وعبر ...

وفي ليلة وضحاها ، أعلن الغازي ، ابراهيم باشا المصري قراره الاخير على جبل الدروز والصحراء . كما اعلنه من قبل ، على مدن سوريا وقراها ، وأرسل اليه ، وزيره محمد شريف باشا ، على رأس جيش منظم ، يحمل أوامر سيده ، بجمع السلاح ، وتعداد النفوس والتجنيد الاجباري ، وتحصيل الجزية ، وجمع الضرائب ، من خيل وجمال وأغلال . ولم يتصل الخبر ، بالامير يحيي وزعماء الدروز حتى تألف منهم ، وفد كبير ، قصد دمشق ، لمقابلة الغازي ، واستعطافه . ولم يبدأ الامير الحمداني ، بالكلام حتى بادره ابراهيم باشا بالصفع على وجهه ، مهدداً اياه ، بعدم المماطلة . وقد أمهله عشرة أيام ، ان لم يسلم فيها السلاح يعدم . فخرجت المشائخ من حضرته خائبة ناقمة ...

مؤتمر درزي عام

عقب عودة الوفد الدرزي من دمشق . عقد اجتماعاً عاماً ، بشكل مؤتمر درزي ، يمثل زعماء القرى ، من دروز وعرب ، وفي مقدمتهم الامير يحيي الحمدان ، والمشايخ خليل ، وحارس ، وعلي

الحمدان . وأبو نجم حسين درويش ، وأبو يوسف حسين أبو عساف وقاسم القلعاني . ومحمود هزيمة ، وأبو محمود عز الدين الحلبي . وحضر أيضاً الامير فارس أرسلان ، وشبلي أغا العريان ، من لبنان ، ومشائخ عرب السلوط ، من الجاه ، وفارسها غصوب ، وغيرهم من مشائخ عرب الصحراء . وزعماء الاسلام والمسيحيين ، المواطنين ، الخ ... وبعد المداولة والقسم العظيم ، بين الرؤساء والعقلاء والجهال والبدو والحضر ، قرروا اعلان الحرب ، على ابراهيم باشا ...

ثم بحثوا في أمور كثيرة ، لا نعلم ذكرها . ومنها هذا القرار :

أولا — انتخاب ، الامير يحيى الحمدان ، أمير جبل الدروز ، قائداً عسكريا ...

ثانياً — انتخاب لجنة عامة ، تنظر في شؤون الحرب ، وتحاكم من يتخلف عنها برياسة الشيخ خليل الحمدان ...

ثالثاً — انتخاب ، لجنة خاصة ، تنظر في شؤون المرأة وصيانتها ، في الازرق . مؤلفة من خمسة عشر فارساً بقيادة الشيخ حارس الحمدان ، والامير فارس ارسلان ، والفارس غصوب ، فارس الملجاه ...

ثم قرروا ، الالتجاء الى اللجاه الوعر ، وجعله ساحة حرب ، لتحصينه ولوجود الجيش المصري ، على حدود السويداء . وارسال الحريم الى الازرق ، مع بقاء القادرات منهن على الخدمة في منطقة الحرب ، ليقمن بجلب الماء ، واعداد الطعام ، والتجسس على مناطق العدو ... والاخيرة قد أخذن عليها ، شهادة تاريخية لم يسبق لغيرهن سابق ، في القرن التاسع عشر ... ولم يزل ذكر بعضهن ، في الشجاعة والاقدام ، مضرب الامثال ، كفاطمة الاطرش وعصمت الحمدان ، وسعيدة بنت عز الدين الحلبي ... الخ ...

وفي السابع ، من شهر كانون الثاني (ديسمبر) سنة ١٨٣٦ انتقل الدروز الى اللجاه ، الوعر المسلك ، والمخيف معاً . بخيلهم وجمالهم وطرشهم . كما انتقلت الحريم ، الى الازرق بخيامها ، واثاث منازلها ، تحت رعاية والد الحسناء ، والامير فارس ، والفارس غصوب حفيد صاحب اللجاه حيث كان في ركاب اخته الحسناء في الرضاع ... الذي لا يترك مجالا للامير أن يقترب منها ...

وبعد ثلاثة أيام بدأت المعارك ، في وادي اللواء على بعد خمس ساعات من السويداء ...

عزيز ونصوراته :

لم يأوي عزيز ، الى خربة سميع ، متخفياً ، والفارس الاسود يحرس طرقها حتى أخذ يفكر في تقلبات الدهر وكيف أنه يخفض أقواماً ويرفع آخرين . ويخلق في صدور الاشرار رحمة ، وفي صدور الابرار نقمة ... تصفح التاريخ العالمي عن ظهر قلب ، فوجد أن المؤرخين قد ضلوا عن طريق الصواب ... أو ضللهم الاهواء السياسية ... والايادي الحديدية التي استأثرت بمقدرات الامم فسقطت الاخلاق في عهدها . مما جعلت في المجتمع الانساني ، فئة اغترت بمظهر القوي المستبد ، فصيرت شيخها مارقاً . وشابها فاسقاً ولم تكتفي بهذا فقط ، بل عبثت بالنظام الاجتماعي فانزلت المصلحين منزلة اللصوص ، واللصوص منزلة المصلحين حتى اختلط الحابل بالنابل ، ولم يعد يعرف الخبيث من الطيب ... لماذا ؟ لأن اولائك عاكسهم الدهر ، وهؤلاء ساعدهم الحظ ... (والدنيا مع الواقف) كما هو متبع في عرفهم . أو الحكم للقوى مسترشدين بمبدأ تنازع البقاء ... وبعد أن توقف قليلا ، رجع الى مناجاة نفسه :

كم من ثورة اصلاحية، أوصلت أربابها الى الاعدام. وكم من عصابة ثورية رفعت رجالها ، الى منصة الاحكام . كالاسماك ، كبيرها يأكل صغيرها ، وقويها ينهش ضعيفها ، دون ما سبب الا حب الاستئثار الذاتي :

هذا ما تصوره عزيز وهذا ما جال بفكره ، وهو في موقف الخطر ... ثم عاد الى مخاطبة نفسه : ماذا يجب على أن أعمل ؟

يجب أن أفكر ... وافكر ، الى أن أصل الى الحقيقة ، والحقيقة بنت البحث . يقولون : ان العقل أسمى من العاطفة ، والحيوان الناطق خير من الحيوان الاعجم . كما يرشدنا (الدستور الانساني) الذي يوجب على الانسان نصرة أخيه الانسان . أحب أم كره .. لذلك سأسعى في اغاثة الملهوف ، واسعاف المصاب ، من بني الانسان ...

هناك في الغرب أمم ارتقت برقي المادة ، الى جعلتها ترفق بالحيوان ، نصرة للحيوان . وهنا في الشرق أمم ارتقت برقي الروح ، فيجب أن تسمو بالفكر ، لترفق بالانسان ، نصرة للانسان لماذا ؟ لأن الانسان امتاز عن الحيوان ، بنور بصره وبصيرته والحيوان امتاز عن الجماد بقوة لمسه وحسه . فهذا حسن ، وذاك

أحسن . فالحسن هو البصر الذي له قدرة ، على امتداد الضوء الكهربائي ليحسن طريقه في الحياة . والاحسن هي البصيرة الوقادة التي لها قدرة بنور العقل والحكمة ، أن تخرق حجب الكائنات ... وبالبصيرة ، لا بالبصر ، يصل الانسان الى الدرة اليتيمة ، الى فضيلة الحقيقة لتكون له خير رسول ، في الحياة ...

ولم ينتهي عزيز ، من تصوراته الفلسفية ، حتى خطرت له خاطرة عملية ، فارتاح لها كثيراً ولم يستقر رأيه على تنفيذ فكرته الجديدة حتى استدعى الفارس الاسود وحذره ، بعد أن فوضه بصرف ما يصرف من الذهب ، لتأليف عصابة تتخذ لها شكلاً جديداً في التاريخ ...

وبعد ذلك بأيام قليلة وصلت له رسالة من مجهول علم منها أن عشائر الدروز قد أعلنت الحرب على ابراهيم باشا المصري وأنها ستلجأ الى اللجاه ، والشيوخ والحريم سيلتجئون الى الازرق كل مدة الحرب تحت حماية فرقة من فرسان الدروز بقيادة والد الحسناء والامير فارس ، والسيد غصوب ، وان هذا الكتاب هو بمثابة تنبيه له لاتخاذ الحيطة اللازمة ، حول هذه الحرب الضروس ... فانشرح قلبه لعلمه أن الخط هو خط حسنائه وانها تحبه وانها

تهتم بحياته . ثم انقبض صدره لوجود الامير فارس بقرب حبيبته ولكن هذا الانقباض لم يدم ، لانه رجع الى اعتقاده من أن الحسناء حكيمة الحكيمات العاقلات حقاً . لهذا عاد الى تفكيره الاول ضارباً صفحاً عن الامير متأملاً في موقفه الذي جعله بين امرين . الامر الاول واجبه نحو وطنه . والامر الثاني ، واجبه نحو قلبه . الى ان هتف باعلى صوته ....

الاخلاص للوطن واجب والاخلاص للحب واجب . ولكن الرفق بالانسان ، هو فوق كل واجب . هذا ما أريده ، وهذا ما تريده الحسناء ... وهذا ما أشارت اليه ، في خطابها المقدس ... وبعد ان قرر موقفه ... انهكته قواه ... فاستلقى على فراشه ... وتروض في مغازلة مالكة لبه .. ثم تصور عينيها الجذابتين ... فانشد نشيد الهيام ...

الحسناء في الاسر :

وبينما كان الجيش المصري بقيادة الوزير محمد شريف باشا ، مشتبكا مع الثوار في السلاح الابيض ، في موقعة ، دامت ثلاثة

ايام ، بالقرب من أم رمان ـ قرية من قرى الجاه ـ كانت الآنسة مرمر ، جالسة في قصر الازرق ، وعلى يمينها السيدة أم غصوب وعلى شمالها السيدة عصمت ، وأمامها آنسات درزيات ، وسيدات عربيات ، يشغلن اوقاتهن ، في دروس عبقرية ، فطرية... وجلها ، بحث عن المرأة الشرقية عامة ، وعن المرأة الدرزية خاصة ، وهذا مادار بينهن من الحديث :

نظيرة ـ ان التبرج ، وتخفيف الملابس ، والتمرغ على الشواطيء.. هي كلها بدع ، من بدع الشيطان ، اخترعها الغرب ، ليستعبد بها الشرق ، ولكن الله اراد ، أن تسقط فيها المرأة الغربية ، فأسقطها ، حتى اصبحت عقيدة ، متأصلة في نفسها ... والواقع : ان من حفر حفرة لأخيه الانسان وقع فيها ، وكما يقولون : طابخ السم آكله ...

عصمت ـ هذا صحيح ؟ ! ! ! فالغرب غرب ، والشرق شرق ، حتى في الازياء ، والخلاعات . ولكن المرأة الشرقية المتفرنجة ، هي أشد تهتكا ، من الغربية ، حيث تقلدها ، في سوق الاخلاق ، غير ناظرة الى هبوط اسعاره . والرجل الشرقي يقلد الغربي ، في اللصوصية ، والهمجية ،

والاستعباد ... وقد صدق الرسول :
اذا غضب الله على عبـد رزقه مالا حرام . واذا اشتد غضبه عليه. بورك له فيه. افبعد هذا الحديث القدسي من جواب ...

حسان ـ وزيدى على هـذا ياعصمت : تهور المرأة في الملابس وتطرفها في الحرية ... كما نزيدها الرجل ، في اباحة القتل وسفك الدماء ...

أم محمود ـ هذا لاينطبق على المرأة الدرزية ، وان كان بعضه ينطبق على الرجل . فالمرأة عندنا لاتستقر على حال ، من القلق . فساعة تراها منكسرة الخاطر ، من معاملة زوجها المتوحش ، وساعة تراها بائسة ، سجينة في خدرها ، لايمكنها ، أن تبصر نور الشمس الا نادراً. ومنهن من يشغلن ليلهن ، قبل نهارهن ، في أعداد الطعام للضيوف ـ هذا في السلم. وأما في الحرب ، فحدثن عنهن ولا حرج عليكن ... واذا اردن أن نقول كلمة حق ... فالفلاحات الدرزيات ، يتمتعن في راحة ، وطمأنينة ، لايحلمن بها نساء الزعماء ... سواء كن

في الحقل ، أو في البيت ...

فاطمة ـ المرأة خلقت لزوجها وبنيها ، طعامها وشرابها ، لهوها ولبسها . ومن العار عليها ، أن تطمع الى غير ذلك ! ! ! ؟

مرمر ـ اسمعن ياعزيزاتي ما اقول : الرجل رأس المجتمع الانساني ، والمرأة قلبه . أي أن الرجل وزير الخارجية ، والمرأة وزيرة الداخلية. وبعبارة معروفة في لبنان (الرجل جلاب ، والمرأة دولاب) ثم ان المرأة مرآة الرجل ، فان أحسنت صفاء داخليتها ، وأخلصت في حبها لزوجها ، تجلى المظهر ، في خارجيتها . وان افسدت الصفاء في داخليتها ، وعكرت مزاج زوجها ، اوجبت السخط عليها ، حتى لو كان زوجها شيخ وخط الشيب هامته . والى هذه المبادىء السامية ، اشار الرسول في حديثه الشريف : جئت لأتمم مكارم الاخلاق . . .

والخلاصة : ان التربية واجبة ، فالعقل السليم في الجسم السليم والتربية على أنواع : وأما النوع الذي يفيد المرأة الشرقية ، هو الرياضة البدنية ، وتروبض الفكر ، وتربية النسل ، على قواعد صحية ، وروحية ، واجتماعية . ثم النظافة في النفس — والنظافة من الايمان

والاكل والشرب مع القناعة ، والعمل بصدق واخلاص وأمانة . وادارة المنزل، ادارة متقنة مع الاقتصاد كاملة. ولا يسعني في هذا الموقف، الا أن أوجه كلمة بعيدة المرمى وهي : يجب أن تعلم الاجيال المقبلة ، اذا كان الغرب ، قد وضع السم في الدسم، ليستعمر الشعوب المغلوبة على أمرها ، فالشرق سيستقطر هذا السم ، ليجعله ترياقا ناجعاً ودواء شافياً ، للأمراض الاجتماعية ، التي فشى وبائها مابين الشعوب الشرقية ، ليقيها داء الخمول والجمود. ولا يتم هذا، الا اذا تحررت الفتاة ، لتكون أنموذج العائلة المقدسة . . . وبعد ذلك تردد الامم ، شعار الزواج :

صهر كانت رابطة الحب ، لا تفرقها شريعة . . .

عصمت — عاشت أميرة الصحراء . . .عاشت آلاهة الجمال والحب والحكمة . . .

لا اثم وردة

مر شهران على الحرب، والحرب تزيد اشتعالا، وتزيد لهباً، وتزيد فظاعة وتزيد ويلا على الانسانية. وعزيز يقوم في عصبته المئة ، باجل

الخدمات، من اسعاف المصابين، الى اغاثة الملهوفين، إلى القاء المحاضرات والمواعظ الاجتماعية الاشتراكية، الى تنوير الاذهان، والحث على السلام ... كل هذا، وفرسانه، أو تلاميذه، الذين انتشروا، بين المتحاربين، ليعلنوا لهم، ارادة أستاذهم المربى، من ترك الحرب، والرجوع الى السلم. يحرضون العامية، ويدفعونهم لعدم التعاون، مع الفريقين، مستندين، على كلمة عزيز الغالية: الحرب عمل من عمل الشيطان، فاجتنبوها ...

وفي ذات ليلة، بينما كان مستلقيا على فراشه الصخرى، داخل المغارة، أقبل قبيل منتصف الليل، فارس أمرد الوجه، ملثم بكوفية حمراء وطلب من الفارس الاسود، الدخول على سيده الرئيس، وبعد أخذ ورد، تمكن من الدخول، بعد الاستئذان ولم يقف الفارس، حتى أنار عزيز سراجه الضئيل، ووجهه نحو وجه الفارس ليتبينه. فاذا هو سيدة، بلباس الفرسان، سافرة الوجه فغضب وقال لها: احذرى ياسعاد ... فالاشاعات حولك كثيرة فكيف وصلت الى هنا؟

ـ شهر قضيته فى حوران، وأنا طريحة الفراش ... وشهر في خدمتك ياعزيز ؟؟؟

ـ كيف هذا ؟
ـ كنت بالقرب منك ، كالماء فوق ظهور الجمال ...
ـ هل أنت وحدك ؟
ـ مع جماعة من حوران ، وكلنا في خدمتك ...
ـ وما هو سبب مرضك ؟.
ـ رصاصة أصابة فخذى ... أتتجاهل ياعزيز ؟
ـ كلا لا أعلم شيئاً ... ومن هو الفاعل ؟
ـ لا أعلم ... وأنما الذى سرق أوراق حبنا القديم يعلم ؟
ـ ماعلينا ... لماذا أردت الدخول علي في هذا الوقت ، المتأخر من الليل

فتبسمت سعاد ، وقدمت له ، فرخة محشوة بالارز والصنوبر ، مع كمية من العيش الحوراني ، وكوز من الماء الزلال وهى تقول :
ـ كل هنيئاً ، واشرب مريئاً ...
ـ ليس لي أن أتناول ، أي شيء ، من يد لا أحبها ...
ـ أهذه هي المرة الاولى ، التي تأكل بها من يدى ياعزيز ..
ـ لست بحاجة الى الزاد ...
ـ أتخاف ؟ ...

ـ كيف لا أخاف من النساء ، ومنهن، جواهر وقواهر وعواهر لا بل ، كيف لا أخاف من زاد العاهرات، وهو كالسم فى الدسم!؟

ـ وزاد الدرزية أيضا ؟

ـ الحسناء من الجواهر، وزادها ،هو زاد روحي ، فلا يمكن لشياطين الارض أن تدنسه ... أسمعت ؟..

ـ وعزيز ؟

ـ عزيز أسيرها، عزيز خادم حكمتها على الارض ، أفهمت ...

ـ عجبي في حبك عظيم ياعزيز ... أنت تحبها ... نعم نعم... انى ارى سيماء الحب بادية على وجهك ... أريد هذا الحب ... نعم أريد سعادتك ياعزيز ... اريد ان تحبها ... على ان تعدني في البقاء معها ... لا بل أرغب البقاء بقربك ، لاخدم نعالها !؟؟

ـ هذا لايكون ابدا ... لانه لا يستوي، الخبيث مع الطيب..

ـ اسمح لك، ان تقول ماشئت ... فالايام التى قضيتها بقربك جعلتني أسيرة حبك ، فلا تحرمني من عطفك ، والشريعة السمحاء تبيح لنا تعدد الزوجات ...

اتجهلى ياعاهرة ، ان الفضيلة المجسمة في مرمر ، تأبى الاتفاق مع الرذيلة المجسمة بك ... فالخبيثون مع الخبيثات ... والطيبون

مع الطيبات... وفي الشريعة السمحاء، كمال واكمل. فالاكمل، بالآية: ان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ... وعلى هـذا الكمال الاكمل، اقسمت يمين الله العظيم. وعلى هـذا الا كمل، اسست الدروز عقيدتها في الزواج ... فأرجوان لاتحوجيني فتخرجيني والسلام ...

ـ بحقك اغفرلي .. بحقك اجعلني محظية ... بل اجعلني آلة تحركها ارادتكما ... عدني بحبك ... وانا آتيك بها، رغم انف الامير ... عدني ... وانا ادعك، تتمتع بها، على صدري، ... عدني ... وانا اعدك، بان اغسل، عطر حبكما بدموعي ... آه ... اريد ان تحبني ياعزيز ... لماذا هذه القساوة ؟ .. لماذا هذا الجمود ؟ ... أليس لك قلب ؟ ... ثم ارتمت على صدره وضمته الى صدرها وهي تقول: نظرة منك تجعلني سعيدة !!!؟

فصاح بها، والغضب قد أخذ منه كل مأخذ، وطرحها الى الارض بشدة، وقال لها: اغربي عني يا ملعونة ..

فتململت، ثم نهضت، وهي تبتلع بريقها، وقالت: يدي لاتمتد الى من قطف زهرة حياتي !!؟

فغضب عزيز من جملها الاخيرة، واستفزته عوامل نفسه الكامنة، وقال:

نعم ياسعاد ، انه لقد دنت الساعة الرهيبة ، التي بها أعلن لك قرارى الاخير. كما لايسعني في هذا الموقف ، الا أن افهمك ، قيمة نفسك عندي :

قطفت زهرة حياتك الاولى . نعم قطفتها ، حيث كانت لذيذة كالمخدر (الكوكين) وكانت السعادة بقربك ، راحة للجسم . راحة بعد الاستنقاع في الماء البارد ، فى يوم اشتد حره من سرور ، ونشوة ، وانتعاش .. فمنهم من خلق لسوء حظه ، يتأثر منه ، ذلك التأثير المذيذ المغري ، الذي يخيل للمخدر ، في دور الانتعاش ، في اللحظات الاولى ، للنشقة ، سماع تأوهات نسائيةلذيذة ، تحرك العواطف ، وتثير الشهوة ، في آن واحد... حتى تكون السبب ، في تهالكه عليه ، وادمانه ، الى أن ينتهي في هاوية الشقاء ... ومنهم من ميزته الطبيعة ، بميزات السمو ، فلا يجدون فيه أية لذة . . . فبحكمة هذا التائب ، ومحافظة على النسل الانساني ، من جرثومة الفساد ، والامراض النسائيةالسارية ، ابتعد عن حواء الضعيفة ، حواء صنيعة الحية الملساء .. التي تتنقل من غصن الى غصن ... فعزيز لايريد أن يشم وردة يشمها غيره ... افهمت ؟ لاأريد أن أشم وردة شمها غيري !!! ؟

وكانت سعاد منكسرة القلب ، طول مدة حديثه ، ولكن لم يصل الى جملته الاخيرة ، حتى لسعتها الغيرة ، فاصابت حبة قلبها ودفعتها عوامل الانتقام ، فقالت :

—اسمع ياعزيز ... فالوردة التي كنت تشمها ، لم يشمها قبلك أحد ... وعندما قطفتها ، واستنشقت عطرها ، طرحتها للذباب ؟! افبعد هذا من لوم وتأنيب ؟.. اسكت ياهذا ! واعلم أن المرأة التي تطعن في قلبها ، وتطرح في الشوارع ، هي أشد خطراً ، على الهيئة الاجتماعية ، من اللبوة الخارجة من عرينها مجروحة ...

— حذار ايتها الافعى . . .

—اقتلني ياعزيز... اقتلني... وها صدري معرض لخنجرك... ولكن لا اسمح لك ، أن تطعن قلبي ...

— كفى لقد ضاق صدري ...

وانا لقد ضاق صبري ... كلمة اخيرة ... اريدني خادمة ؟

— كلا ، والف كلا . . .

— اذن الى اللقاء ... الى الانتقام ..

وخرجت ، وهي تتعثر باذيالها ، والمرارة تقطر من لسانها ، وعزيز رجع الى فراش الطبيعة ، منهوك القوى ..

خيانة سعاد :

الامير فرقد امير من امراء العرب العاربة ، الذين اشتهروا بالكرم والجود والفروسية ، نزل في صيف عام ١٨٣٧ في ضواحي عمان (عاصمة شرقي الاردن اليوم) بالقرب من قصر الازرق ، للاصطياف بفرسانه ورجاله

وبعد ان دق أوتاده، ونصب خيامه وسرح(طرشه) ، في الوديان والجبال . دخل ذات يوم الى صيوانه الكبير ، الذى أعده للضيوف وبينما كان يشرب القهوة مع رؤساء قبيلته ، دخلت عليه سعاد ، فى شكل محدثة ، من محدثات العرب ، وأطنبت في الامير وفرسانه ، حتى استمالتهم اليها ، وحركت فيهم النخوة العربية ، وتغالت في وصف الامير ، الى أن أوقدت فى صدره ، نار الكبرياء والفخر الجاهلي ، مما اجتذبته الى سماع ماتريد أن تقوله له، الى أن قالت :

أمير العرب ، من منذ شهر ، مررت في اللجاه ، فوجدت جيش الباشا المصرى، معسكراً في ضواحيه ، ومحاصراً طرقه ،وهو يستعد للهجوم على الدروز، للقضاء عليهم. وقد علمت ان العرب المرتزقة ستسطوا على حرم الدروز ، فهالني الامر ، وقلت : أيليق بالشاب

الامير، والاسمر الجذاب ، صاحب الطلعة الرشيقة، والبدر التمام ، أن يترك الدرزية الحسناء ، قرالسويداء ، تسبيها الاعداء ، والامير قاعد مقعد في صيوانه — والحسناء شمس والامير قمر ؟

— افصحي الكلام ؟

—والله يا امير ، ظهر بين اميرات الجبل ، درزية حسناء ، هي كوكب الجبل الساطع ، وشمسه النيرة . ويلقبونها النساء بالاهة الجمال والحكمة والله! ... فخفت عليها ، من أن ينال يدها غيرك ...

— بنت من هى ؟

— والله هي حفيدة الامير حمدان امير جبل الدروز ...

— افتاة هي ؟

—هي بكر لم يخضر صدرها بعد . . .

— عمرها ؟ . .

— بعد تمام البدر ، باربعة ليالي، هو ربيع طلعتها ياامير؟!!

— وخدرها ؟

— هنا فى الازرق ... واشارت الى الطريق الموصل اليه ...

— من يحرسها ؟

— نخبة من فرسان الدروز ...

فوقف الامير ، وانعم على المحدثة ، ببدلة مزركشة ، ثم قال بغضب : هلموا يافرسان العرب ، الى الازرق ... فرددت الفرسان: إلى الازرق ...

غضبة الحسناء :

في منتصف الليل ، كانت الحسناء ، راقدة في فراشها ، لتستريح من عناء نهارها ، الذي اشغلته في التهذيب والترويض ، وهي فرحة مسرورة ، من نجاح مؤتمرها ، الذي سيعقد قريباً ، ومن تكليف الفارس غصوب ، بدعوة حبيبها عزيز ، ليكون بقربها ، ساعة انتصارها ، ..

وبينما كان والدها الحارس ، في المرور ، على نقط الاستحكامات وكان الفارس غصوب بين مضاربه ، يستعد للرحيل الى اللجاه ، لمقابلة عزيز . تاركين الامير فارس يحرس قصر الازرق ، برجال حاشيته . كان الامير بالوقت نفسه ، يدخل غرفة مرمر متنكراً ، بعد أن استعد لهذه المفاجئة المريعة ، ووضع على حراستها في الخارج ، فرسان من حاشيته ، هذا اذا حاولت الفرار . ولم يتوسط الغرفة ،

حتى كشف قناعه ، وتقدم الى فراشها ، وجلس قرب رأسها ، وهو يتأمل بشعرها ، المسترسل على كتفيها ... تأمل بضعة ثوان ، وهو في بحران ، كأن ضميره ، كان يؤنبه ، في تلك اللحظة . ولم يمس كتفها ، حتى استيقظت مذعورة ، وجلست في فراشها ، ونظرت اليه نظرة استغراب ، سحقت كبريائه ، وقالت :

ـ لماذا انت هنا ياامير ؟ ..

ـ جئت لزيارتك ...

ـ من اذن لك بالدخول ؟

ـ قلبي ...

ـ لماذا لم تدخل البيوت من ابوابها ؟ والشمس في رابعة النهار ؟

ـ دخلت كثيراً .. فوجدتها موصدة . ..

ـ انا لااسمح لك بالدخول الى مخدعي ...

ـ كان زمان ومضى ...

ـ ماذا تعني ؟ اتريد أن أقول لك : اخرج !!! ؟

ـ أعني انك خاصتي ... ولا اخرج الا برفقتك ...

ـ اريد ، أن تبقى كرامة الامير والدك محفوظة الجانب ...

ـ لا يمنع هـذا يامرمر ... وبعد ربع ساعة تكون في

طريق لبنان ...

ـ اذن ، دخولك دخول اللصوص ... فانا لاانهب ...

ـ لافائدة لك من المقاومة ... وقد استعديت لكل شيء وهاحاشيتي كلها تحرسك ...

ـ والله ياامير، لاانتقل من هنا ، الاوانا جثة هامدة ...

ـ أعزيز افضل مني يامرمر ... وهوغير معروف من الدروز!؟..

ـ هذا شأني ... فعزيز اكبر شهامة منك ...

ثم نفرت منه ، وتناولت خنجرها ، ورفعته فوق صدرها ، تريد أن تطعن به نفسها ، فمسكها من يمينها ، وضغط عليها ، فسقط الخنجر من يدها ... وباشارة كانت على ظهر جواد ، مكمومة الفم مكتوفة اليدين ...

وبعد أن أمر رجاله بالمسير ، التفت الى الازرق ضاحكا وقال: الوداع ... فقد استفدت منك بالحسناء ... وكفى ...

فرسان الامير فرقد

وفى هذه اللحظة ، طوقت فرسان الامير فرقد، قصر الازرق

وهجمت على الامير فارس ، وفرسانه ، وأخذوهم أسرى ، وبينهم الحسناء . فأراد الامير فارس ، أن يدافع عنها ، فطعنه أحدهم بسنان سيفه ، أرماه الى الارض ، مضرجاً بدمائه ... وبعد أن استرشد الأمير بسعاد،التي رافقته وهي ملثمة الوجه : ان الحسناء بين يديه ، اكتفى بالغنيمة ، وفر بها وبالاسرى ، نحو عمان ،،، وأشدهم فرحاً سعاد ، التي اعتقدت أن النصر لها ، لا لهم ، وانها ستجعل عزيز ، يسجد على أقدامها ... بعد ان تصبح الحسناء محظية الامير فرقد ...

الثأر ولا العار

ولم يتصل بالفارس غصوب ، خبر اختطاف أخته فى الرضاع حتى هاج ، هياج الجمال ، المتعطشة الى الماء . فجمع فرسان الدروز وفى مقدمتهم الحارس ، وفزعوا جميعا ، لنصرة الحسناء ، وهم يرددون . الثأر الثأر ولا العار... عليهم...عليهم ... ولم يصلوا الى محل الحادثة ، حتى وجدوا بضعة قتلى ملقاة على الارض ، وبينهم الامير فارس ، ئن من ألم الطعنة. وهم لا يعلمون ، عن فعلته المشينة

شيئاً . فكلفوا أحدهم ، أن يرجعه على جواده الى الازرق ، لعمل الاسعافات اللازمة له . ثم تابعوا مسيرهم ، وخيلهم في أثر العدو تلتقط حسرات الموت . الى أن وصلوا الى أطراف عمان ، وهناك اشتبك الفريقان بالقتال . . . فأخذ الحارس اليمنة ، والغصوب الميسرة ، حيث طوقوا الاعداء بفرسانهم الأشداء ، غير مبالين بجروحهم ، وسفك دمائهم . . . وبعد ساعة ونصف انتهت الوقعة عن فوز الدروز ، فوزاً باهراً . وأسر الأمير فرقد مع بضعة عشر فارساً . والحسناء مغمى عليها بين يدى الحارس وغصوب . . . وبعد أن استنشقت الهواء الطلق ، وشعرت بالحرية . التفتت حواليها ، فوجدت نفسها محاطة ، بأعز الناس لديها ، فشكرت الله على خلاصها . . . وبعد أن أمن غصوب على حياتها ، التفت الى الأمير فرقد وقال :

ـ شيخ أى قبيلة أنت ، يا كلب العرب ؟

وقبل أن يجيب الأمير على كلامه ، وقفت الحسناء بين أخيها ، وبين الأمير الشاب ، وقالت :

ـ أتركه لوجه الله يا أخي . . .

ـ أنصفح . . .

ـ لا يا أخي . . . فلا شك أن الله ، قد أرسله لخلاصي ...

ـ كيف ذلك يامرمر . . .

ـ هذه هي الحقيقة يا أبي ... فهذا الشاب ، جاء في وقت ، كنت في أشد الحاجة ، لمن ينقذني من ... وكفى ...

فالتفت الحارس لغصوب ، كأنه يريد ، من يكشف له ، سر هذه الألغاز. فاستنتج غصوب ، سر نكبتها ، وتقدم الى الأمير فرقد ، وأطلق سراحه . . .

فكبرت الحسناء في قلب الامير ... حتى تخيلها، أنها فوق هذا العالم الدنيوي . . . فهتف من غير روية : حقا ان أميرة الصحراء أميرة الحكمة . كما هي ، أميرة الجمال والكمال . . والله لانتقمن لك يا أميرة، من هذه الماكرة . . . ثم تقدم بين الجرحى ، وأخذ جثة من بينها ، ووضعها على الجواد أمامه ، وسار به كالبرق الخاطف وهو يقول : هكذا تكون الحسان ، والا فلا . . .

فاضطربت مرمر من اطراء الامير ، ثم تألمت من أخذه الجثة، حيث تبين لها ، أن الجثة جثة امرأة ... فتساءلت ، من هي يالهي ؟!!! وبعد ذلك أمرت الفرسان أن تتقدم ، لتنفرد بأخيها ووالدها ... ولم تتقدم الفرسان قليلا ، حتى قالت :

ـ أرجو من أخي غصوب، أن لا يتركني لحظة لوحدي ... لا بل أريد، أن تبقى قرب فراشي . . .

ـ لك ما تريدين يا أختي . . .

ومنها أصبح غصوب، كظلها أينما انتقلت . . . بعد أن أرسل، رسولا من قبله، يدعو عزيز . . . والامير فارس، يئن من طعنتين : طعنة في جنبه . . . وطعنة في قلبه . . .

ملاكمة القلوب

بعد أن طهّر عزيز قلبه، من معشوقته الأولى . وبعد ان ألف عصبته الانسانية . رقد مستريح الضمير، تاركا لتلاميذه، تنفيذ مشروعه الانساني، ونشره في كل واد . منصرفا بكليته لسلطان الحب، الذي استقر على عرش قلبه . . .

وأما مرمر، فبعد أن بدأت، تشعر براحة الضمير، بعد اجهاد فكرها، في تنوير المرأة وتهذيب الفتاة . وبعد . . . وبعد أن رقد عزيز في فراشه، ورقدت الحسناء في فراشها . هو في اللجاه، وهي في الأزرق، يتناجيان مع بعضهما بعضا . تجلت

لكل منهما شخصية الآخر . . . نجوى تجلت ، فكانت محادثات ، وكانت مخاطبات ، وكانت مساجلات . . . ثم ارتقت . فارتقت ، الى أن أصبحت تفاهم . . . فاتحاد . يحس عزيز بوجود مرمر ، ويحس مرمر بوجود عزيز ، وكلاهما يسمعان بعضهما بعضاً . رغم أنف الطبيعة ، التي فرقت ، بين أشباحهما . . . تعمق عزيز في التطور الروحاني ، وحدقت مرمر ببصيرتها النورانية ، فاخترق أحدهما ، ضباب الحجاب الكثيفة . وذلل الآخر ، حصون الطبيعة الجامدة . وفي هذين القوتين العظيمتين ـ قوتي المحبة والارادة ـ اتصلا بالمكالمة والمشاهدة . حتى اللمس والحس ، بين قلبيهما ، المتحدين بالحب والاخلاص . وكلما ازداد شعورهما ، من القوى المغناطيسية ، كلما ازداد السمع وضوحاً لهما . . . الى أن كبرت معارفهما ، وتوسعت مداركهما . فخرجا ، من محيط العالم القديم ، الى محيط العالم الجديد . . . وهناك . . . هناك سجدا . . . وهناك استخدما الطبيعة ، ومن عليها وفيها ، لنجواهما وحبهما . . .

وهناك . . . وهناك في العالم الجديد ، المجدد لنواميس الطبيعة اكتشفا كنه الانسان وسلطانه . وهناك تحقق لهما سر الطبيعة . وان بامكانهما أن يكتشفا أسرارها ، وأن يسخراها ، للتفاهم بين

قلبين ، يربطهما كنه السالب والموجب . . . واذ ذاك يشربان من كاس مزاجها ، زلالا يسمى سلسبيلا ... كما سخرت الطبيعة لتوليد الكهرباء والتخاطب اللاسلكي ، بعد أن ارتقت المادة الميكانيكية بارتقاء الفكر النير ، المجدد ، بالسمو والصفاء . فالفكر المطلق يمكنه أن يوصلهما لغايتهما ، كما يوصل القلوب المرتبطة ، برابطة الحب المتضامن ، مع الاخلاص والارادة ...

ثم سمع عزيز صوتاً داخلياً ؟ فأصغى الى دقات قلبه ، فاذهي مخاطبه : رن . رن .. من يخاطبني .. مرمر ... حبيبتي ... حبيبي ... هل رأيت ما رأيته ؟.. اسأل قلبك ... يقول حقا... هو صادق ، صادق بحبه الخالد . . . وأنا صادقة بحبك ، مابقيت الروح ... في الحياة وبعد الموت ... لاتلاشيه السماء ، ولاتطويه الارض ... خالد بخلود الروح ... ثم سمعا أزيزا ... ثم عاد الصوت بوضوح ... لماذا انقطع الصوت ... نذير للخائن ... والخائنة أيضا ياعزيز .. صدقت ... كل غصن يفسد ، يقطع ويلقى في النار ... صدقت ... أصبر ياعزيزي لحكم ربك ... سأصبر الى ان يشاء الله ... الى البقاء ... الى البقاء ...

ومما يؤيد ، نظرية فكرتهما الجديدة ، التي تنطبق ، على العلم

والعقل . قول السيدالمسيح : من جمعهما الله ، لايفرقهما انسان . يقصد بهذا ، رابطة الحب الطاهر . وبهذه الرابطة وحدها ، والعروة الوثقى المقدسة ، تتفاهم القلوب ، وتتحد بالحب ، ومتى دب الفساد بينهما ، انقطع أحدهما عن الآخر ...

وهنا وجب انفصالهما ، حيث لاجامع يجمعهما ، فيما بعد . وعلى هـذا ، أشار المربي الاعظم : اذا اجتمع اثنـان باسمي ، فأنا أكون الثالث بينهما .. فاذا كان الـكنه الاسمى ، هو الرابط الاعظم، بين القلبين المتحدين ، على الحب والوفاء ... لن توجد قوة فى الوجود ، يمكنها ، أن تفصلهما عن بعض . كما أن الله سبحانه وتعالى : لايمكن ، أن يجعل كنهه المقدس ، أضحوكة حتى المهزلة ، في وسط الخبيث والطيب ... وكيف يستوي الخبيث مع الطيب؟ والسيد القائل : اذا فسد الملح فبماذا يملح ؟.. ثم نراه يغضب ، على المرابى المرائى ، اللذان يتاجران ، في تصوير الحقائق ، على غير صورتها، ثم يقول : اذا كان النور فيكم ظلاماً ، فالظلام كم يكون ؟..

في زاوية ، من زوايا خيام الأمير فرقد ، كانت سعاد ، تناجي نفسها بنفسها، والسم يقطر من فيها . تمنت سعاد ، أن تستولي على قلب حبيبها عزيز ، وتعيده الى أحضانها ، ساجدا خملا ، ولكن: ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

تمنت الحب والوصال ، فنالت البغض والصد ...

تمنت السعادة ، فنالت الشقاء ... والشقاء متى جاوز حده ، تضعف في مقاومته ، أقوى قوى الانسان ، الى أن يحوط البؤس بالمرء، فيجعل حياته في عذاب اليم ... واضطراب دائم...

فسعاد التي أصبحت ، لا تستطيع ، أن تعيش بلا شيء ، يخدر أعصابها ، فقد حرمتها الطبيعة ، كل شيء . بعد أن تمرغت في الشهوة حتى الثمالة ...

شعرت سعاد ، بأنها حرمت من كل شيء ، فأرادت ، أن تستعيض عن كل شيء بشيء ... وأين لها هذا الشيء ... الى أن لسعتها الغيرة ، فأصبح عزيز ، هو كل شيء . فلا يمكنها أن

تستعيض عنه ، بعد تلك الليلة الدهماء ، التي عرفت فيها ، ان حبيبها انجذب الى طيار مغناطيسي ... الى ناحية حسناء غيرها... وأشد صاعقة ، تنزل على قلب المرأة . صاعقة الغيرة ، التي تحول بينها ، وبين حبيبها . حبيبها الذي ينتقل ، الى حسناء ، أجمل منها . . .

فالقلب الذي يحب لا يبغض . والقلب ، الذي تكون شريعته الحب ، فلا خوف منه أو عليه ... نعم هذا ما يجب أن يكون ... ولكن قد سبق السيف العزل . . . فسعاد التي أحبت الشهوة ، حتى العبادة فقد أقعدتها الشهوة بعيداً ، حتى جعلتها تتذلل لحبيبها بعد أن تذلل حبيبها ، شهوراً على أقدامها ... يقولون : من جمعه الله لا يفرقه انسان ... ولكن الله كان بعيداً ، وبعيداً جداً عن اجتماع سعاد بعزيز ... وأما الذي جمعهما ، هو الشيطان ، وهو الذي فرقهما ، بعد الوصول بهما ، الى غايتهما ..

انتهت الغاية ، فانتهى كل شيء ... هكذا كان غرامي ، وهكذا كان مسرح حبي ... رؤيا لذيذة ، يتلذذ بها المرء ساعة ، وهو في نشوة الطرب . ومتى انتهت الساعة الاولى ، تجددت

الاخرى .. الى أن تأتي ، الساعة الرهيبة ... ساعة الفراق الابدى . . .

كانت غايتي ، ارضاء نفسي . فمن أرضى الغرائز الجنسية في حبه ، زال حالا بزوال الغاية . . . نعم هذه كانت غايتي الاولى... وهذه كانت مشتهياتي . أما الان ، فغايتي ، ان يكون عزيز سعيداً ... وأمام هذه السعادة ، تضحية ...حقا ما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد ؟ . استفيدي يامرمر ، يا قاتلة قلبي . من حب عزيز . . . وأما أنا فسأستفيد بموتي ... نعم يجب أن أموت ...

ماهذه الافكار المتضاربة ؟ كيف أضحي بقلبي ليعيش غيري... وأي تضحية ؟ ... التضحية الحقة ، أن يضحيها الانسان مختاراً ، لامرغماً عليها... أردت الانتقام منهما... وحفرت الحفر لسقوطهما بها .. ونصبت المكائد لهما ...حتى قصدت موتهما... ولكن... كل ما أردته وما قصدته ، وما حفرته رجع علي : الى أن سقطت؟ وكان سقوطي عظيما.. سقوط اصطدمت فيه بعفافي... بقلبي... بالامي ... وأخيراً .. واخيراً .. وقعت بين يدي جبار لا يرحم.. ولم يرحم صباي . . . بل رماني بسهم ، كان علي ، أشد ويلا من الموت ... سهم جعلني مقعدة . . . سهم حرمني لذة الحياة ، لذة الانتقام ،

لذتي البغض والحب . . . وقد شعرت بأبواب جهنم ، تنفتح أمامي حتى ان شيطان الشهوة يناديني : آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي ، سعيري وحميمي ، عذابي وحري ، وقد بعد قعري . . . فأجبته ، أو اعتقدت أنني أجبته : أين لي وأنا مقعدة؟

أف منك ياشيطان الشهوة، فقد رميتني بسهامك ، وكسرتني بنعالك وجعلتني، عديمة القيمة ، في نظر من أحبه. عديمة الاعتبار، في نظر صعاليك العالم ... فهذا هو الانتقام الحقيقي ... وهذا جزاء ، من يسعى الى الشر ...

ثم عاد اليها شيء من الأمل . . . آمال وآلام ، حلت في أعصابها ، فخدرتها ، تخديراً مريعا ، الى ان ابتهجت نفسها فصاحت :

قريباً اشاهد عزيز ، يضاجع حبيبته مرمر ... فأحظى بلذة جسدية ... تعيد لقلبي ، فرحه وسروره ، بعد انقباضه ... هذه هي الوسيلة الوحيدة، لاشباع غليل نفسي . . . وهي اعظم مرطب لشهوتي الجانحة، التي تدب في عروقي ... نعم، هذا هو الرجاء الوحيد، للشفاء من مرضي . . . أو أموت ، فداء عن عزيز حبيبي ... أمنية . . . كيف أحققها وأنا مقعدة ؟ .. هل اذا رحمني عزيز ،

ونفذ أمنيتي . . . هل تحققها ، مرمر ؟ . . . أمنية . . . نعم ، يجب أن أنتقم أولا ، من الذي شوه حياتي . . . كيف أنتقم من الامير فرقد ، وأنا عاجزة . . . عاجزة وأسيرة . . . يالها من لوعة . . . لاشك ، ان الشيطان ، سيساعدني عليك ، ياوحش العرب ... عزيز خلصني من أسر هذا البدوي ... اشفق علي ياعزيز . وارحمني ....

وهنا بكت ، بكاء مراً . . . وهذه هي الساعة الأولى ، التي تبكي فيها سعاد ، عزها الراقد ، وجمالها الهاوي ...

وبقناه تاريخياه :

في ساعة متأخرة من الليل ، وصل رسول الحسناء ، الى خيام عزيز ، الذي أصبح ، كرئيس عشيرة ، مقرها وادى اللواء ، بين الصورة الصغرة والكبرى . فاستقبله الفارس الاسود ، الذي لاينام الليل على الاطلاق . كل هذا خدمة لسيده ، وارضاء لضميره ، الذى لبس حلة من الاخلاص الاكيد . فضلا عن خدمته للعشيرة التي أصبحت تحترمه ، كما تحترم سيده . لماذا ؟ لأنه لا يكذب ،

ولا يفكر بخيانة أحدهم ، ولو حرق لحمه ، أوقطع اربا اربا ...

وبعد أن عرف الفارس ، شخصية الرسول ، أدخله على سيده الذي كان يحلم في السعادة ، ولا يراها . تاركا للقضاء والقدر ، حكمه الأخير . . .

جلس عزيز في فراشه ، واستقبل الرسول بوجه بشوش ، وقلبه يطفح سروراً — والقلوب شواهد ؟!! فناوله الرسول رسالة ، عرف من خطها ، بأنها مرسلة ، من مالكة قلبه مرمر . فضها وطالعها ، وهذا مافيها ، من الحكم البالغة :

عزيزي عزيز

سلام .. شوق .. انشاء الله لقاء ... تخابرنا لاسلكيا . . . والآن أخابرك خطياً . لتكون للتاريخ ، عبرة وذكرى ... كما يكون ردك ، هو المنتظر المفيد . . . استعيض به عن المثل الصامت ؟؟؟ . . . الذي كان المثل الاعلى . . .

قريباً ، تظهر نتيجة المحاولة ، وعملي الجهادي ، في المؤتمر النسائي . . فاذا لم تزهر أغصانه ، في القرن التاسع عشر . فستزهر وتأتي ثماره ، عظيمة خالدة ، في القرن العشرين . . . الذي سيكون ، فجر خير وسعادة : . . . فالامم التي لاتكرم أحيائها ، قبل أمواتها

فلا حياة لها . ولكن ماعلى المرء الا أن يعمل ، وعلى الله تتميم المقاصد . . . لانبي في وطنه هذا حق . . . والطبيعة قد نطقت بذلك أيضاً . . . فالشرق أنار الغرب . . . والغرب استمد ، من نور الشرق . . . والشرق يتخبط في الظلام ... الى أن اتخذ الغرب مرآة المادة الصافية . فانعكست أنوارها ، حتى جعلت الشرق ، يستنير من ضوء زيفها . . . فكان الأحرى بالشرق ، أن يستمد من أنواره الطبيعية الصافية ، كما يستخلص الغرب ، مايجود به الشرق من نور وصفاء وحياة . . . ظهرت مرآة الغرب ، بعد أن قدس الغرب ، أنبيائه الأحياء . . . فأحيت فيهم ، صفاء أعمالهم ، فزاد مجهودهم . وأما الشرق ، فقد قدس أنبيائه الأموات ، بعد أن اضطهدوا ، ورجموا ، وقتلوا ، وهم احيـاء ... الى ان جاء السلف ، وتاجر بأنوار الخلف . . . فاحتفظ بالجوهر الخاصة ، واباح العرض للعامة . كما استأثر الفرد باللباب ، وجعل القشور تبـاع وتشرى ، بالشبر والدينار . حتى وصل ، شبر الارض في الجنة ؟ الى عشرات الملايين ، من الدنانير ، على طول الزمان . . . وبهذه الفوضى ، اختلفت الطرق ، وكثرت المنعرجات ، وتفشت المحرمات ، حتى اصبحت شعب متشعبـة ، ومذاهب متعددة . فضلوا

واضلوا ... فمنهم ، من جابوا شوارع المدن ، حفاة عراة ... ومنهم ، من اجتازوا الصحارى على ظهور الجمال ، بالسبحة والمزمار ... ومنهم ، من قطعوا البحار ، في سفن ، تدفعها الرياح ، بحسب أهوائها ... لماذا كل هذا؟ لأن أصحاب الأفكار الاصلاحية، الاجتماعية، الدينية. ماتوا في ميدان الجهاد، قبل أن يحتاطوا لأنفسهم من عبث العابثين. الذين جهلوا أو تجاهلوا ، معرفة الحكمة وفيضان نور المؤسسين . وانهم فوق كل انانية بشرية. ولهذا شرح الشراح ، فصولا طوالا ، ذوقوها بالفاظ خلابة ، حتى شوهوا محاسنها. وفسر المفسرون ، كل بحسب اهوائه وتجارته . وصور المصورون ، الابيض اسودا ، والاسود ابيضا . والجن انسيا والانس جنيا . والقرد انسانا والانسان قردا . والاصنام آلهة ، والآلهة اصناما. والمرأة حية والحية مرأة. والمرآة صفاة، والصفاة مرآة والمال غاية ، والغاية مالا. والروح مادة ، والمادة روحا . والنور ناراً، والنار نورا ... والاناني قد أوصد الباب ، في وجه كل مجاهد ، مصلح ... متغافلين عن الحق القائل: ولكل مجتهد نصيب... فلا يجب ان ننكر عليهم فضلهم ، ولو كان شرا ... وانما الذي ، يجب أن ننكره . هي انانية بعضهم ، ولو كانت خيراً ... وخيراً عظيما ،

لمن يفتح الباب على مصراعيه . ليشاهد كل امرء ، الفيوضات الالهية ، ويتمتع بضياء تلك الانوار ، انوار الحكمة والمعرفة ...

عزيزي عزيز

انا اريد ، أن اسير معك جنبا الى جنب ، في البر والبحر والهواء . لافرق بين مسؤليتي ومسؤليتك ، بين واجبي وواجبك بين قلبي وقلبك ، بين حياتي وحياتك . انا الرفيقة ، وانت الرفيق. وكلانا ، يسير في الحياة ، على قاعدة ـ الرجل رب والمرأة قلب ـ فاذا كان الرب فرحا، كان القلب مسرورا . واعلم أن قوة الدماغ ، ميزان الرأس . فاذا قوي الرأس ، قوي القلب .. وان ضل الرأس ، ضاع استقلال العائلة ... وان فسد القلب فسد النسل ... وهنا قل : على المحبة والحرية والهناء والسعادة ، الف سلام ...

فالاثنان مرتبطان في هيكل واحد . لايمكن فصل احدهما عن الآخر — والويل للخائن . فخير، ان يفصل العضو الضال ،ويقطع والفاسد، يطرد خارجا ... من أن يقال : الاباء يأكلون الحصرم، والابناء يضرسون ...

عزيزى عزيز

انا لاأخاف أحداً في الوجود ، الا ضميري فقط . . . وهو

وحده ، دليلي فى حياتي ... لهذا ، سوف لااخرج من محيط هذا الجبل ... الذي هو مسقط رأسي ... الا وانا مرفوعة الرأس ... ليس أمام العالم ... بل امام ضميري ، ووالدي ، وحبيبي ... لم تأتي الساعة بعد ياعزيز ... اصبر ومت شجاعاً .. اذا كان لابد من الموت ... خير لك، من أن تيأس ، وتموت جباناً . . . والخلاصة : كن عصاميا ، ولا تكن عظاميا ...

عزيز ، اذا شئت أن تكون عصاميا ، لاعظاميا . لاتشرك بي احداً ، كما انا لاأشرك بك أحدا . احضر ... وحضورك يكون الى الازرق ... ليكون المؤتمر النسائي ، الذى سيعقد قريبا ، تحت رعاية عصبتك الانسانية ... اطلبك ، وانا واثقة من ضميري ، ومن والدي ، ومن اخي . عسى أن تكون لي ربا ، وانا اكون لك قلبا ... ان لم يكن في الصحراء . . . فسيكون بأذن الله ، في ما وراء البحار ... والسلام ...

المخلصة : مرمر ...

طالعها مثنى ... ثلاث ... رباع ... ثم أخذ قلما وكتب لها :

عزيزتي مرمر

وثيقة غالية ، وحكمة بالغة ، وعبقرية حرة ، صريحة . هي

جوهرة ، وجوهرة مثلثة الاقانيم . يجمعها انسان كامل ، كامل برأسه وقلبه ... عملت ، وعملت مايجب على الرأس ، ان يعمل في المجتمع الانساني ، من خير وسلام ... كل هذا ، تكفيراً عما أتته النفس الامارة ، في أول شبابها . وهذا الفضل ، راجع للقلب ، الذي أنارني بمشورته ، انارني بطهارته ، انارني باخلاصه انارني بحبه

عزيزتي مرمر

شظايا من اعتراف عظيم ، القيها في طرق هذه الحياة ، عسى أن تكون عبرة وذكرى ، لقوم يعقلون ...

حرب سجال ، كانت حياتي الأولى . حرب كانت ، بين الحرية والعبودية ، بين الشجاعة والحماقة ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين النور والنار ، بين الحياة والموت الادبي ... الى أن ظهر نجم الحسناء ، فاضاء بصيرتي ، وقادني الى حكمة الأمام علي : ليس الشجاع من غلب الناس ، وانما الشجاع من غلب نفسه ...

ففي هذه الحكمة اغتسلت . وفي ضوء النجم ، طهرت جسدي الترابي ، من جرثومة الفساد . لأجعله بلا عيب ، هيكل جثماني ، يجوهره قلب ، يقوده بالحكمة والارشاد ، الى رب الارباب ...

عزيزتي مرمر

أنا واثق من عفوك ، من ارادتك ، من قلبك ، من حكمتك ، التي ترشدني ، الى ماهو فوق كل واجب ... ومع كل هذا الوثوق ، يجب أن أثق من نفسي أولاً ... كيف أثق منها ؟ اثق منها بعد اختبارها ... تركتها عطشى ... تركتها قاحلة ... تركتها ذليلة ... تركتها مهانة ... تركتها غضى ... تركتها طموحة وتركتها أمام ألسنة النار ... فكانت كما أردتها ، نور على نور... لهذا، شئت أن أحضر الى الازرق ، لأشاهد أعمالك الجليلة ، ولأقول لك : لا أشرك بك أحداً ...

فمن كانت رابطته الحب ، لاتفرقه شريعة ... والسلام ، على من اتبع الهدى ، فاهتدى ، بنور الحب والاخلاص ...

المخلص : عزيز ...

المؤتمر النسائي :

بعد جهاد مستمر ، تمكنت الحسناء ، من عقد مؤتمر نسائي ، يضم بين أعضائه ، نخبة من عقيلات العرب وكريماتها ، لا فرق بين جنس قوم ، ودين آخرين :..

ومن مميزات هذا المؤتمر، انعقاده في الصحراء، في زمن عصيب، زمن الحروب والثورات. هذا فضلا عن معاكسة الامير فارس، الذي سعى جهد المستطاع، لمنع هذا الاجتماع، فلم يفلح. فشل كما فشل في اختطافه. وهو يتمنى بعد أن شفي من جرحه، أن تضع الحرب أوزارها، ليفوز الشيخ خليل بإمارة الجبل. كما يفوز هو بزواج الحسناء... ولم يصل عزيز الى الازرق. حتى دب في صدر الامير، روح الحسد والانتقام. ولكن أين له ذلك، وعزيز، أمنع من عقاب الجو، بعد أن أصبح الامير حارس يشد أزره، والفارس غضوب، يخدم ما ربه، وعصبة الانسانية تحمي ظهره... فرضي الامير، في هذا الاجتماع مكرها... وأما عزيز، فقد نصب خيامه قرب القصر، ليكون على استعداد تام لكل طارىء، بعد أن علم بفعلة الامير الخائنة...

وفي صباح ٢ آذار (مارس) سنة ١٨٣٧ بدأ المؤتمر اجتماعاته:

في اليوم الاول { تبادل فيه التعارف، بين غانيات الدروز وغانيات العرب...

في اليوم الثاني { خطاب للانسة زمرد الحريري، موضوعه: فتاة حوران في الحقل...

في اليوم الثاني

خطاب للآنسة حياة سركيس ، موضوعه : عاملات فلسطين في المدن ...

خطاب لسيدة هدى البكري ، موضوعه : سيدات دمشق والحجاب ...

خطاب للسيدة أمينة سعيد بالقاهرة ، موضوعه : زينات العرب والسفور ...

في اليوم الثالث

خطاب للسيدة عصمت الحمدان ، موضوعه : المرأة الدرزية في السلم والحرب ...

خطاب للأميرة نجوى شهاب ، موضوعه : المرأة اللبنانية والمهاجرة ...

في اليوم الرابع

محاضرة للآنسة مرمر الحمدان ، رئيسة المؤتمر وموضوعها : حقوق المرأة الشرقية وواجباتها وتحريرها من الرق والعبودية ...

في اليوم الخامس

كلمة شكر للآنسة ليلى أطرش كاتبة المؤتمر

حفلة وداع — نشيد النهضة النسائية ...

فطاب عصمت :

صعدت عصمت على المنبر ، سافرة الوجه ... فاسفرت طلعتها ، عن ثغر كأنه الدر ، ينطق بكلمة الحكمة . وعن وجه جعدته حوادث الدهر ، حتى أصبح هلالا ساعة مغيبه . نسيجه لألأ ، مما يزيد في هيبتها ، بهاء وجمالا وجلالا ...

وفي نهاية الكلمة ، يتحول الهلال ، هلال الشيخ ، الى ما وراء شفق الطبيعة ، ليجدد نسيجه ـ لحمته المهد ، وسداه اللحد ونقشته ذرات الحياة . ومن هذا الكمال ، يظهر الهلال ، هلال الفتى الاكمل ـ طلعته ليلة البدر ، صفو جوها ... فاشرقت أنوارها ... كبيراتي صغيراتي

خير الكلام ، ما قل ودل . من منكن لا تعلم ، كم قاسيت من الاهوال . وكم ضحيت ، وضحيت ، حتى أصبحت لا أبالي ، ان عشت أو مت ... فكل من يفسر آرائي الحرة ، التي تلقيتها من صغيرتي ، ورئيستي مرمر ، على غير وجهتها ، يكون جاهلا ... لا يستحق مني ، الا طعنة خنجر ... (هتاف)

ولا غالي ، اذا أدليت بآرائي الثائرة ... آرائي التي اختبرتها

طول حياتي — وأنا قد جاوزت الستين — التي سيكون لها صدى ، في في العالم الاجتماعي ... صدى ، يردده الرفيق والرفيقة ، الزوج والزوجة ... ليعرفوا كيف تكون العلاقات الجنسية ... وكيف تسوي النساء ، عالمها وأوجاعها ، على كثرتها ... وكيف ينلن الراحة والطمأنينة ، من رجالهن ...

فالعلاج الاول ، لهذه الامراض . لايمكن أن تقوم به ، الا المرأة ، التي تتصف بالشرف وكتمان السر ، مع طول اناة ... ومتى اتصفت بها ، قبضت على ناصية زمامها ، واستمالت اليها زوجها ، مهما كان فاسد الاخلاق ، وحشي الطباع ...

وبهذا العلاج ، يمكنها أيضاً ، أن تمارس الفضيلة والطهارة ، ممارسة جميلة ، في حالتيها الصحية والغرامية ... (ضحك) والفضيلة غريزة طبيعية في المرأة ، فلا يجب أن تفسدها فتفقدها . وبها وحدها تحفظ المرأة صحتها وحبها ... وبالطهارة ، تعرف المرأة كيف تتناول الشؤون الجنسية الدقيقة ... والطيور على أشكالها ياعزيزاتي ... فيجب على الفتاة ، أن تختار ، ما يوافق ذوقها وشكلها ؟! لا أن تكون فريسة الاهواء ، تسقط ، تحت اظافر ، نسر مفترس ...

فالى هذا المبدأ التكويني ، ألفت أنظاركن ، لتطفئن به ، لهب

قلوبكن النارية ...

عزيزاتي حبيباتي

من المعلوم ، ان نهضتنا ، ليست نهضة تزويق كلام ، بل نهضة عمل وجد ... لهذا اطلب منكن ، ان تدفن الخرافات ، في مكان لا يعرفه الانس ، ولا يراه الجن ؟ !!!

نحن في زمان ، فشت فيه الاوهام ، حتى خيلت لنا ، البصار ، والمشعبد ، والكذاب ، أولياء الارض ، وقديسيها . وماهم بالحقيقة ـ والحقيقة جارحة ـ الادجالين منافقين ...

ومن خرافاتنا ، تكحيل مقل الاولاد ، قبل ان تكحل الحية ، عيون أولادها ، في يوم ثلاثة الذرة ، وأربعة البراقطة ، وخميس البيضات ! ؟ ونشر قميص العروسة ، في صباح ليلة زواجها؟! على حائط الشارع . ليتمتع الغريب والقريب ، الشيوخ والارامل بمنظر الدماء والعسل؟؟؟ . والويل لمن لا تجرح جسمها ، لتبيض وجهها ، بقطرات من الدماء ، أومن دماء الارانب؟؟؟ الى غير ذلك من الخرافات الممقوتة؟!!!

اهذا هو الرقي ؟ ومدارسنا وبيوتنا ، جوامع للجهل ، وخلوات للظلم ، وكنائس للتفريق ؟ ؟ ؟ . وكبارنا ، لا هم لهم ، الا تضليل الشعب ، وابتزاز أمواله . كالبطيخة ، يأكلون لبها ، ويرمون قشرها ،

لحريم ... ونعاجهم ..

انظرن الى الرجل ، كيف يعامل الفتاة كسلعة ، ويستخدمها كسبية ، ويتاجر بها كرقيقة... كما يعامل زوجه كخادمة، ويجعلها وثنية ، تسجد لعجله الذهبي ؟!!! وتخضع لارادته الوحشية. معاملة ، ولامعاملة الحيوانات . البقرة في نظره، أفضل من الزوجة الأمينة الراقية ؟ — والامة نسيج الامهات ، فتأملن ؟ ! ! !

أنظرن الى قحة الرجل ، الذي لفق ، مثله السائر ، بين الرجال : — سداه الرعونة ولحمته الخيانة — القتل ديباج النساء ... مع ان القتل ، لا يليق الا بالحيوانات المتوحشة . . . أنا قتلت ياعزيزاتي ؟ ولكن قتلت دفاعا عن العرض . . . قتلت قتلا من تعمد القتل ؟ (ضجة) لاتستغربن .. قتلت الحريري ، لانه أراد قتل الحسناء ... (أصوات : عاشت عصمت وعاشت الرئيسة) وهي لا تعلم ، من خلعها من زوجي ، الى الان . . . (أصوات عاشت الشهامة) وزوجي ، لا يدري وللأسف ، انه كان آلة، تحركها أهواء الامير فارس ... (اصوات : فليسقط الخائن) ولاجل ذلك ، قد كرست نفسي ، لخدمة فتاتي مرمر ... (هتاف متواصل بحياة الحسناء)

عزيزاتي

عود والعود أحمد ... انظرن الى الرجل ، كيف احتقر امرأته ، واجبرها على السفر ، وهي حاملة ، في شهرها التاسع (اصوات : وحشية والله) تتعذب ، وهي ماشية على الاقدام ، وهو يتطي صهوة جواده . لماذا ؟ لأنها محرومة ، من ركوب الخيل . وكيف تركبها ، وهي تسبب الموت والنحس ، للفرس الاصيل ، فيالهول الخرافات ؟!!!

انظرن ، كيف ينظر الرجل الى نفسه ... ويعتبر ان عيبه ، على زر مداسه . (ضحك) والمرأة ، لا يحل لها ، ان تظهر ، على مسرح دجاجه ... (ضحك) فالى متى تسري علينا ، هذه الخدع الفاسدة ؟

انظرن الى الرجل ، واسمعن قوله ، في زوجه ، : (ما تعبش في دق ريحانها) كأنها لا شيء في نظره . فبحقكن . ، كيف تعاشر المرأة ، رجل هذه صفاته ... لا هو يحترمها ، ولا هي تحبه ... وما هو معنى الزواج ، بلا محبة حقيقية ؟ أهو عتالة ، أم رهينة ؟ !!!

انظرن الى الرجل ، كيف يثور على السافرات ، ولو كن ، محجبات بحجاب الفضيلة . وما المراد بالحجاب ، ياعزيزاتي ؟ اليس المطلوب ، هو ستر الشيء المعيب ، كالعورات ... وما شا كل ذلك . فاذا كان الحجاب ، يدخلهن الجنة مع رجالهن ، وهن على هذه

الصفات ، الشيطانية . فالملائكة ، وحملة العرش ، لا يسمحون لهن، بدخول الجنة ، المعدة للمؤمنات، الطاهرات، العاملات، العابدات، لمجرد أنهن منقبات ، غير مسفرات . . .

انظرن الى الرجل ، كيف يحلل الحرام ، ويحرم الحلال . وهو في سكره يعربد ، وفي وهمه وجبروته، يهرف بما لا يعرف .فعلينا، ان نقاطع الرجل الدموي ، الرجل الوحشي ، الرجل الذي لا يحترم قلب المرأة ، الذي يكون عالة مشوهة ، على عرضه ونسله... هذا قليل من كثير ، ياعزيزاتي ... وفي غير هـذه الثورة الفكرية ، لا نصل الى سلام عائلي ، موطد الاركان ... أساسه السعادة والحرية والحب... (تصفيق حاد)

في سبيل النسل الصالح :

ولم تنتهي عصمت من خطابها ، حتى صفقت لها الاعضاء كثيراً، وهتفت بحياتها... الى ان ابيحت الكلمة : فوقفت السيدة أم حسين درويش ، وقالت:

بما أن المحافظة ، على النسل الانساني ، من اختصاص هذا المؤتمر ، فبصفتي عضوة فيه ، ومولدة بوقت واحد . لذلك ادلي

بفكرتي ، عسى أن تنال استحسانا ، من زميلاتي الاعضاء . وتجد رواجا بين الزوجات الفاضلات ، اللواتي يرغبن في انشاء نسل صالح ، جديد ، في العالم الاجتماعي المجدد ... وهذه هي فكرتي :

ان مضاجعة الحبلى ، امر غير مرغوب فيه ، عند اصحاب الذوق السليم . وقد تحققت من أن الفساد ، دب دبيبه ، في الجنين من وجوه شتى ... واهمها ناشئة من كثرة الاثقال ، والاجهاد أو التدفق ، أو العراك ، أو المغازلة الحماسية النارية . التي تأتيها المرأة ، ويأتيها الرجل ، في ساعة حظهما ؟!.. وكيف تتقي الحبلى نفسها ، وهي غائبة ؟.. فزوجها لا يرغب منها ، الا الوصول الى مراده ... ومن هذا المراد الجنوني ؟ يولد الطفل مشوه معتوه ، ضعيف الجسم ... فاقد احدى حواسه الخمس ... فضلا عن الامراض التي تلازمه ، حتى يبلغ من العمر ثلاث سنوات ، على الاقل ... هذا اذا لم يسقط الجنين ... وكل هذا ، اذا اتاها رجلها وهو في حالته الجنونية ، مستسلما الى العاطفة فقط ؟ تاركا عقله بعيداً . اما اذا اتاها رجلا؟ غير التي حملت منه ... فهناك البلاء الاكيد . وشاهدي على ذلك ، أن الفرس الاصيل ، حينما تشعر ، بأن الجواد اتاها ، وعشرت منه . فلا تعود ثانية ، أو تسمح له

مرة أخرى ، حتى تلد . مهما وضعوا في رجليها ويديها من السلاسل. لهذا نرى بعض الحيوانات وافضلها الخيل الاصايل ، محتفظة بنسلها ـ النسل الجديد على مر الزمان ، لايشوبه فساد ...

وعليه، اطلب من المؤتمر ، أن ينشر الدعاية ، بين العائلات حتى تحتفظ المرأة بنسلها ، وتبتعد عن زوجها ؟ ان لم يكن كليا ، فتخفيفا؟لأن عليها وحدها ، يتوقف نجاح هذا الامر الحيوي ... فبيدها ، لا بيد الرجل فساد النسل ، أو اصلاحه ؟!!؟

الرئيسة ـ هل يوافق المؤتمر ، على فكرة السيدة ، أم حسين وتعميمها ، بين العائلات ؟

الجميع ـ نقرر تسجيلها وتعميمها ...

الرئيسة ـ فلنسجل هذه الفكرة ، في سجل المؤتمر ، وتنشر بين الافراد والجماعات . وبالوقت نفسه ، فالمؤتمر يشكرها كثيراً على هذه الفكرة ، الاصلاحية الحيوية ...

محاضرة الحسناء

الفكر يكون الحقيقة ، والحقيقة بنت البحث . فاما أن تكون معروضاتها ، مستخرجة من وراء الكائنات . وأما أن

تكون مأخوذة ، من مشاهد الطبيعة . فالأولى روحية ، والثانية مادية ـ وكلاهما ، في نظر الانسان ، ابحاث وأعجاب ...

هذا هو الطابع الاجتماعي ، المجدد لكل طور ، من اطوار الحياة . فمن هذا الفكر ، استمديت الوحي والالهام . ومن هذه الحقيقة ـ والحقيقة جارحة كما اشارة ، أم المؤتمر عصمت استمطرت الندى ، لتكون قطرات حياة ، للمرأة الشرقية ...

سيداتي آنساتي

عامن الطفل ، كيف ينظر الى الوردة ، دون أن ينزعها . حتى اذا شب ، يعرف كيف ينظر الى الحسناء ، دون أن يشتهي ، امتلاكها ، أو يلمس جسمها ...

عامن الطفل ، كيف يغازل الطفلة ، ويحبها الحب الملائكي . حتى اذا شب ، لا ينزل بحبه ، منزلة الحب الشهواني ، منزلة الشيطان البهيمي ؟!!!..

عامن الطفل ، مباديء الحرية والاستقلال الفكري . حتى اذا شب ، يكون اداة صالحة للعمل ، والاعتماد على النفس ...

عامن الطفل ، محبة الله الشاملة . حتى اذا شب ، اشرحن له هذه المحبة ، وقلن له : ان الانسانية شجرة . اديانها فروع ،

ومذاهبها اغصان. وارسخن في عقله ، ان من حق الأم، ام المجتمع، ان تجمع الالفة بين الاجزاء وتوحدها ، وتضيئها بالنور الالهي ، وتغسلها بالدم الانساني — لافرق، بين جنس قوم ، ودين آخرين...

عامن الطفل ، أنه رأس المجتمع الانساني ، والطفلة قلبه . حتى اذا شب ، احب القلب واحترمه ، واحتفظ به كاملا ...

عامن الطفل ، فضائل الاديان كلها . حتى اذا شب ، كانت له عقدا ، وكان لها رسولا ...

سيداتي سادتي

عامن الطفلة ، انها زهرة ، وان الزهرة تثمر . حتى اذا شبت تعرف كيف تسقي حقلها ، ليأتيها في اوان قطوفها ، بثمار ناضجة ...

عامن الطفلة ، انها تشبه امها ، والطفل يشبه اباه ، فى ملامح الوجه ، وتقاطيع الجسم ، وحسن الخلق والخلق ، بقوة الوراثة الصالحة . حتى اذا شبت الفتاة ، احتفظت بمأثورها ، ونهجت على صورة امها ، وكمالها ...

عامن الطفلة ، انها وليدة التطور ، وليدة الحب . حتى اذا شبت ، عرفت كيف تتطور ، وكيف تحترم حبها ...

علمن الطفلة ، انها ربيبة السرير والتهذيب ، ربيبة الانسان الكامل . حتى اذا شبت ، عرفت كيف تهذب النشيء ، وكيف تكون أم المجتمع ، جليلة مكرمة ...

علمن الطفلة ، كيف تأكل اب الثمر ، ورمي قشره . حتى اذا شبت ، عرفت كيف تميز ، بين الغث والثمين ، بين العرض والجوهر ، بين الاناء والمـاء ، بين المظهر والباطن ، بين العقل والعاطفة ... والعقل لايميز الا بالمعرفة ، والمعرفة لاتختـار ، الا الحبيب المختار ...

سيداتي العزيزات

ذودن الفتاة ، بثورة أدبية ، لتحطم بها ، قيود الخرافات ، ولتهدم بشعلتها اركان العبودية . فتشيدعلى انقاضهما ، قصور الحرية ، ولتقيم دعائمها على اسس المدنية الصحيحة . حتى تنال حقها في الحياة . كما تعيد لـكن ، حقكن المغتصب ، في الهيئة الاجتماعية ...

ذودن الفتاة ، عاما اخلاقيا ، لتنكشف أمامها الحقائق ، فتميزها عن الخرافات ، التي فرقت بين الانسان ، وأخيه الانسان . والتي ولدت ، سوء الظن والشك ، في اخلاص المرأة ومسراها — فويل لها انعبست ، وويل لها ان ابتسمت ...

ذودن الفتاة ، بقوتي التصور والادراك ، واعملن جميعاً ، على بث روح الفضيلة فيها . ثم أكشفن لها ، الاسرار الجنسية ، حتى متى عرفت ... تخجل من نفسها ، وتحتاط من الوقوع ، في فخاخ الشبان ، وتبعد الذين لا يرعون لها حرمة ... ولا يحفظون لها وداً ...

عزيزاتي الفتيات

المرأة تسعى ، لثورة التحرر ، لثورة اصلاح النسل ، اصلاحاً ، يفيد ارباب الذوق اللطيف . وانتن ، فكن تاميذات لهن ، عاملات في هذا المجتمع ، لأن عليكن ، يتوقف مدار العمران . على ان لا تجلسن ، في مجالس المستهزئين ، والمستهزءات . ولا جليس السوء ، وجليسته ، تنظرن اليهما . بل جاهدن ، لتحصل الفتاة منكن ، على قصة من حياتها العملية ، تستفيد منها ذكرى ، ويستفيد غيرها عبرة ...

احببن ... احببن ما شاءت ارادتكن . على ان يكون حبكن ، لمن يصلح نفسكن ، ونسلكن . احببن من يحترم فيكن قلبكن ، ولا يجعلكن ، اضحوكة العصور المقبلة ...

احببن ... على ان تحببن الفتى ، الذي لا يتطلع لغيركن ... احببن الدماغ المفكر ، والرأس المدبر ، واليد العاملة ...

أحبين في الشبان ، الحكمة البالغة ، والكمال الاكمل ، والعمل المثمر ، والعظمة الخالدة ... ولا تنظرن للمظهر الخارجي، فالمظهر الخارجي مزيف ...

سيداتي آنساتي

ثلاثة لا رابع لهم ، يتنازعون البقاء : فالأول الانسان القديم والثاني الانسان القريب . والثالث الانسان المجدد . وهذا المؤتمر يريد أن يخلق لهم رابع . وهو الانسان الحكيم ...

فالقديم الجامد ، جامد في مكانه ، لايسمح لغيره في الجلوس على عرش سلطانه. وهذا ، هو الحكم الاستئثاري ... ومن والاه من الامم ، فتسمى أمم رجعية ...

والقريب المتحرك، يريد أن يحافظ على تقاليد القديم ، وينفض الغبار عنها ، ليظهرها بمظهر الجديد. مستأثراً ، بالأنانية والسلطان المعطى له ... ومن والاه من الامم ، فتسمى أمم مغتصبة ...

والمجدد الجموح، يريد أن يهدم سلطان القديم، وأنانية القريب باشعال النار ، في الاخضر واليابس ، ولا يحسب للجوهر حسابا ، ولا للعرض افادة . حتى ينال شهرة دموية ، وانه مجدد هدام ... ومن والاه من الامم ، فتسمى أمم هدامة ...

وأما الامم الجاهلة ، المتأخرة، التي تهرف بما لاتعرف . لاشأن لنا بها ، لأنها أمم متذبذبة ، متفرقة ، مندسة بين الامم ... حتى انه ، لا تخلو أمة منها ، مهما كانت عريقة ، راقية ...

فالأول ، لايقبل أي تطور ، وهو على خطأ . والثاني لايمكنه التوفيق، بين القديم والجديد المجدد، ما زال جواد الأول جامداً وجواد الثالث جامحاً . والثالث لا يمكن الاعتماد عليه ، لأنه يريد أن يجتاز الصحراء ، على جواد ، ولو أدى به ، الى الموت ... وهذا لاينطبق على العقل ، لأن للصحراء ناقة تجتازها آمنة ؟!!!

ومع هذا ، فالثاني مجتهد ، ولكل مجتهد نصيب ، رغم أنف أنانيته. والثالث جميل ، وأجمل منه ، حكمة الرابع ، الذي يرغب ، ويريد الثورة الفكرية — لا الدموية . العملية — لا الوهمية . وفي هذه الثورة السامية ، يصل المجتمع الى الاصلاح المنشود . وفي هذه الثورة العادلة ، يتمكن الحكيم من التوفيق، بين الجامد والمتحرك ، والجامح . فالحكيم يحتفظ بمعدن الأول ، ويحسن قشور الثاني . ويستفيد من سرعة الثالث . فمن المعادن ، يستخرج جواهرها ليجعلها عقداً ... ومن القشر يستغل عصيره ، ليجعله ترياقا .. ومن السرعة ، يأخذ شعار الحياة : الوقت من ذهب . ليشغله في

اكتشاف سر الطبيعة . ومتى انجلت أسرارها ، ارتقت المادة الميكانيكية... ومتى ارتقت الحكمة، استنارت القلوب بالحب . والحب يجعلها في نجوى مستمرة، فحادثة لاسلكية... وعندها تتآلف القلوب وتتحد، وترتبط برباط المحبة الشاملة... ومتى رفعت قصور الحكمة ، عرف الانسان نفسه . ومتى عرف نفسه، عرف ربه . ومتى عرف ربه — وانه رب العالمين . عرف واجبه نحو قريبه . ومتى عرف واجبه نحو قريبه ، عرف من أين جاء، ولماذا جاء، والى أين يذهب... ومتى عرف كل هذا ، واتبع الحكمة . تلاشت الحدود ، وتقربت المسافات، وتوحدت القلوب ، وتأيد السلام، في البر والبحر والهواء والحب أصل كل حياة ... واعلمن أن هذا المؤتمر ، هو بدء حياة جديدة ، في عالم المرأة ... والسلام ختام ...

فارفض الاجتماع، بعد أن قوطعت الحسناء ، بالتصفيق الحاد والهتاف المتواصل ، عند كل حكمة بالغة ... وفي اليوم الاخير اقيمت الحفلات . وختم المؤتمر اعماله ... والاعضاء غادرن الازرق . وهن متشبعن ، بالافكار الحرة ، ومعتبرن أنفسهن ، بانهن ، رسل المؤتمر في الشرق ...

مرض الحسناء وتوسلاتها

وضعت الحرب اوزارها ، وفاز صاحب نجران ، بامارة السويداء ، بعد جلاء الامير يحيي الى عرى . كما فاز عزيز ، بتحرير النفوس ، من شر الحروب . وتخليص حياة القائد المصري ، محمد شريف باشا ، من الاغتيال . وبدأت احلام الامير فارس ، تتحقق ... مستنداً على نفوذ الامير خليل ، ووعوده ...

واما الحسناء ، فبعد أن فازت ، بمشاريعها الاجتماعية . شعرت بخوار ، في قواها ، وانها بحاجة الى رفيق يسندها ، والى حبيب ، يعطف على جمالها . وعلمت اخيراً ، او تحققت ان سلطان الحب يرشقها بسهامه ، وان الانسان لايعيش وحيدا ، وان القلب القلب دليل ... خضعت تحت تأثير العاطفة الجموحة ، العاطفة الوثابة ، وهي خائفة من غدر الزمان . فانطرحت في فراشها ، دون أن تعي على شيء ...

مرت الايام ، والحسناء مريضة . ووالدها ، لايفارقها لحظة واحدة ، وهو يجهل سر مرضها ... وفي كل يوم ، يراها في تأخر مستمر . فضلا ، عن صمتها ، الصمت المميت ... وعنده

تقابلها عصمت ، حاملة اخبار الحبيب . تتنفس الصعداء قليلا ، كأن الدواء الوحيد ، هو عصمت ... فاستغرب والدها الامر ، وتقدم الى فراش ابنته ، وجلس بقربها ، ووضع يده على رأسها ، يلاعب شعرها الذهبي ، وبصره ، في بصر السيدة عصمت وقال :

ـ اريد أن اعرف مرضك ؟

ـ مرضي هنا ؟ واشارة الى قلبها ...

فاشكل عليه الامر أولا . ولكن ، بعد أن لحظ ، تبادل الاشارات ، بين كريمته وعصمت . علم أن السر ، في القلب ، فقال :

ـ هل لك رغبة في الزواج ؟

ـ نعم ... ولا ؟ !

ـ اريد الصراحة ... اريد أن تكشفي سر قلبك ؟ ! ! !

فنعم ولا ، لاقيمة لهما عندي ...

ـ صبراً يابي ... سأكشف لك الامر ... ،وبي وحياتي ، بين يديك ، فان رغبت في احداهما ، فانا لك طائعة ... لانني عمدت ان اغضب السماء والارض ، ولاأغضب والدي الحنون ...

ـ لم افهم بعد يامرمر ... افصحي ؟

ـ الموت ، اهون علي ، من غضبك ؟

ـ لا داعي للغضب يا بنيتي ... فوالدك لا يغضب منك .
وكيف يغضب منك ، وهو يثق بك ...
ـ اما الحياة يا ابي ، فهي بين شفتيك ...
ـ اذا كان هذا ثمنها ... فاني اهبك اياها ...
ـ كلا يا ابي ... بل هي غالية ... وغالية جداً ...
ـ ولكن حياتك عندي ، هي أغلى شيء في الوجود ...
ـ وحريتها وسعادتها ؟
ـ أريدها ، متمتعة ، بكامل معاني الحياة ...
ـ لهذا يا ابي ، انا مريضة ...
ـ كيف ذلك ؟
ـ لأن علتي في قلبي ... لاني احب ... ولاني لا املك هذا الحب ...
ـ فوالدك يهبك الحياة والحب ...
ـ بورك الله فيك يا أبي ... فانت تشجعني... فانت تدفعني الى التصريح ... ولكن هذا التصريح ، سيكون خطراً على حياتي ... كما سيكون، معجزة الشهامة والحرية ، في القرن التاسع عشر ...
ـ من يمسك بوردة ، أمسه بطعنة خنجر ... ايكفيك هذا ؟

ـ لاشلت يداك ... أنا أحب يا أبي ؟
ـ وأنا أوافق على هذا الحب ...
ـ والذي احبه يحبني ؟ ..
ـ هذا ما أريده ، وهذا ما أرتاح له ...
ـ والذي يحبني ، غير مرغوب فيه ، من الدروز ؟..
ـ يكفيك رضاء والدك ...
ـ هذا ما أتمناه ؟
ـ وهذا ما يتمناه والدك ...
ـ والذي يرغبونه لي ، لا أرغبه لنفسي ...
ـ هم أحرار ، ونحن احرار ...
ـ وأما الذي أحبه فهو ...
ـ اليس هو درزي ، وكفى ؟..
ـ ...
من أي ملة هو ؟

ـ يالك من شهم ... وقد عادت اليها الحياة ، بعد ان شجعها والدها بنظرة ، وطوقها بحنوه ... فنهضت من فراشها معافية . ونظرت بعينيها ، الى عصمت ، كأنها تستأذنها الكلام . فلمحت

على وجهها ، بوادر السرور والارتياح . فقالت وهي ترقص طرباً:

فالحرية يا أبي ،هي سعادتي . وتحرير نفسي ، هي امنيتي

دربتني على الفروسية ،وأنا لا أحب، الا الفارس الازرق ...

ورثتني الشهامة ، والكرامة ، وأنا لا أحب الا الشهم العزيز الكريم ...

عامتني المثل الاعلى،وأنا لا أحب، الا المثل الاعلى في الحياة...

طوقت عنقي بعلم ، اكبرت فيه الحب ، والحرية ...

. . . . . .

اكبرت نفسي يا أبي ، فانا لا ارضى بها ، وانا اسيرة الرق والعبودية... فالشرف الرفيع لا يروق لي،الا اذا نلته بدمي، وماء الحياة لا أشربها ، الا اذا سكبت بكأس الحنظل... وأما الشراب فلا أصبه بآنية بلورية ، الا اذا كان طعمه طاهراً، ولذيذا؟ فالشراب جيد يا أبي ، والآنية من معدن كريم ... ثم ثارت عواطفها ، الى ان أنفجر صدرها ، وقالت :

مرمر التي عامت النساء ، كيف يحررن أنفسهن ، وكيف يصلحن النسل باختلاط الدم النقي... ويختزن رجالهن... وكيف... وكيف...

أفلا يحق لها ، ان تعلم نفسها، هذا الدرس القاسي ،أو تموت؟!!!

فوقفت عصمت، ومسكت بذراع مرمر ، التي ارتمت على عنقها، وقالت :

ـ لا معنى للحياة مع اليأس ... اليس كذلك ، ياسيد الشهامة والمعروف ؟

فتألم الشيخ حارس قليلا ، ثم ضحك ضحكة السرور، على شفاء ابنته ، وقال :

ـ ألا يحق لي ، ان أعرف اسم حبيبك ، يامرمر ؟

ـ عفوك يا أبي ... فهو عزيز ، أو الهدهد، كما يسمي نفسه ...

ـ هو شاب ظريف ، وقد اختبرته كثيرا ... اليس هو مسلم ؟

ـ مسلم يا ابي ...

ـ نعم الاسلام ... اليس هم ، موحدين بالله كالدروز ؟

ـ هم أشد تمسكا ، بالتوحيد ، يا أبي ...

ـ أما العقيدة ، يامرمر ،

ـ العقيدة الصحيحة ، في القلب ، ياأبي ...

ـ سر الله بيننا ياعصمت ... وعليك بعزيز لمواجهتي ... ومباركة انت ، بين النساء ، يامرمر ...

ـ عاشت المرؤة والشهامة فيك ، يا ابر الآباء ...

ثم قبلها في جبينها ، علامة الرضى . وهي قبلت راحتيه ، علامة الاحترام ... وبينما هي كذلك ، شعرت بدمعة حارة ، سقطت من مآقيها ، كانت آخر قطرة ، من دواء مرض القلب ...

في ضيافة الامير فرقر :

في منتصف شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٣٨ خرج ركب الحسناء من الازرق ، متزودا برضى الحارس الجليل ، بعد ان تقدمت عصمت ، وقدمت الى عزيز ، ظرف مختوم ، ومكتوب عليه ، هذه العبارة : هفواتك الاولى يجب ان تحرق ...

فأخذه عزيز ، وناوله الى الحسناء وقال لها : هذا هواعترافي العظيم ... فأن شئت حرقتيه ، وان شئت حفظتيه ، وان شئت أبحتيه .. فأخذته مرمر ونظراتها النورانية ، لا تفارق نظراته الناعسة ...

فسار الركب ، في طريق شرقي الاردن ، تاركا الامير فارس ، يحلم بالسويداء . وفي مقدمته الفارس غصوب كالاسد الغضوب . ثم رجاله الاشداء ، فرجال الحارس ، فعزيز ومرمر ، فكوكبة عصبة عزيز المؤلفة من نخبة الفرسان . والفارس الاسود يحوط بالركب ، كأنه عفريت

من عفاريت الانس ـ لا من الجن. ولم يصل قرب عين ماء، حتى نوخت الجمال، ونصبت الخيام، واوقدت النار، وانهمكت مرمر مع بعض النساء اللواتي، لم يردن مفارقتها . ومنهن أم غصوب، في تجهيز مناسف الطعام (١) كما لو كانت في منزلها . وهكذا في كل صباح ومساء الى نهاية الرحلة .. مما برهنت، على حسن استعدادها، للعمل اليدوي كما برهنت عن عظمة حكمتها، في العالم الاجتماعي العامي ...

ولم تغب الشمس، حتى أقبل الامير فرقد، مع رؤساء عشيرته وقدم للفارس غصوب، من الهدايا والطرش، الشيء الكثير ... ترحيبا بمقدمهم ومقدم الحسناء . ثم دعاهم جميعاً لخيامه، القريبة من العين ... فقبلا دعوته ... وفعلا أقام لهم حفلة عربية، تجلت فيها الحاتمية ... والذي ادهش المناظر، حلقات الرقص . حيث كانت النساء فيها، آية في الجمال، وحيث كن يرقصن بمفردهن، والرجال يرقصون بمفردهم ... وبين الفريقين، حلقة واسعة من الشبان والشابات، يصفقون على الطبل والمزمار والغناء ... وكلما مر الضيوف، بين الراقصين والراقصات، والمغنيين والمغنيات، يهللون ويكبرون لضيوفهم ... ويهنئون الحسناء، بالسعادة والهناء ...

---

(١) راجع تاريخ جبل الدروز للمؤلف

وبينما كان عزيز، اخذ أبيد حسنائه ، والامير فرقد، وشقيقته يسيران امامهما . لمحت مرمر ، سيدة مقعدة ، في زاوية الصيوان الكبير . فتبينتها ، فاذ هي ، المرأة الجريحة ؟ فتقدمت اليها ، ومدت لها يدها ، بعد أن علمت علاقتها بعزيز ، وقالت لها : اتعرفيني ياسيدة ؟

فتفرست فيها قليلا ، والالم النفساني ، قد برح بسعاد الى ابعد حد . حيث شاهدت عزيز ، بجانب حسنائه . فتأكد لها في هذه الساعة الرهيبة ، ان عزيز ، ودعها الوداع الاخير ... فرجحت عندها ، كفة الهوى والانتقام . على كفة العقل والسلام ، فيأست . وعمدت بدافع هذه الغريزة ، الى التخلص من شقائها . بعد أن وجدت ، اوتوهمت انها وجدت نفسها ، اضحوكة امام حبيبها عزيز ؟!! لايمكنها الوقوف ، لتضارع حسنائه بطلعتها . وكيف لها أن تضارعها . وهي مقعدة ... كأكبر العجائز ... فغضبت وتهددت... ثم تناولت خنجراً ، ووجهته الى صدرها ، وهي تقول :

عش سعيداً ياعزيز ... سامحك الله ... ثم انتقمت من نفسها بطعنة في صدرها... فسقط رأسها ، متدلياً على اقدام الحسناء ... وشهقت شهقة عظيمة ، كانت الخاتمة ... وكان هو الموت ...

فتقدم عزيز الى مرمر وقال : مهما ضعفت ارادة الرجل ،

فالمرأة اضعف ... كان يجب عليّ ، ان لا احملها على هذا الشقاء ...
انا المجرم ... انا الذي دفعتها الى اليأس ، الى الجريمة ... التي كانت
ويلاً عليها ... ثم صارت شؤما على نفسي ... وعندها دفن وجهه
بين كفيه ... واجهش في البكاء ... فاخذته مرمر بين يديها وقالت :

لا ياعزيز ، فالذنب ذنب الفتاة ، التي تسلم عرضها ، على قارعة
الطريق . فالشاب ، اجبن من أن ينال حظوة ، في عين فتاة . اذا لم
تدفعه اليها . فالعرض غال ، وغال جداً ياعزيز . فيجب على الفتاة
ان تحتفظ به . وكل فتاة تلقيه على صدر شاب ، تسقط ، ويكون
سقوطها عظيما ... فعلى الفتاة ان تحب وتعشق ، ولكن لايجب
أن تحب وتعشق ، قبل اسمها وعرضها أولا . واذا اقتضت التضحية
فلتضحي بحبيبها ، الذي يريد اهانتها ... ومن هذه الاهانة العظمى
اعتبره خائناً ، لايستحق هذا اللقب الشريف ، لقب الحبيب ...
ومع ذلك ، قف ياعزيز ، فالله غفور رحيم ...

وأما الامير فرقد ، فقد كان كالمأخوذ ، من حكمة وصراحة
الحسناء . وهي لم تتجاوز بعد ، التاسعة عشر ربيعا ، من عمرها
— مع أن سعاد ، قد جاوزت الثلاثين — الى أن تقدم ، الى أمامهما

مع شقيقته المعجبة بمرمر، أي اعجاب . وقال : حقاً ان طابخ السم آكله ...

وبعد أن واروها التراب . كتب الامير فرقد ، على قبرها : هنا ترقد الرذيلة . فتقدمت الحسناء ، وانتزعت اللوحة عن قبرها بلطف ، ووضعت غيرها ، بعد أن كتبت عليها :

﴿ هنا ترقد ضحية الضعف البشري ﴾

في طريق الصحراء

بعد الاتفاق مع الفارس غصوب ، والدرزية الحسناء . تقرر بينهما ، الذهاب الى جبل عرفات ، وشاركهما الرأي عزيز ... ولما علم الامير فرقد ، بتصميمهم على الرحيل ، في طريق الصحراء . أصحبهم بفارس نشيط ، لا يوجد انشط منه ، في اجتياز طرق الحجاز ودروبها ... ثم أصحبهم بخمسين فارساً ، من أشد فرسانه . وزودهم بكامل ما يلزم من جمال وأغنام . معتذراً عن نفسه ، بصفته والداً لعشيرته ...

وعند مطلع الهلال ، بدأت القافلة بالمسير ، وفي مطلعها ، الدليل

الذي سار بها نحو الحجاز... والصحراء كلها مخاطر كالبحار، لا يعرف كنهها، الا من اجتاز صعابها ... جبالا من الرمال، تتحرك بسرعة الريح ... وتلال تدفن تحتها، من تلحقه عاصفة هوجاء يموت عطشا أو جوعا، كل من يفقد منه الزاد، أو الماء.. هلاك محقق ... اذا ضل الطريق ... رمال تطمس الطرق، التي يعتمد عليها سالك الصحراء ... يستغيث ولا من مجيب ... ينادي ولا من يسمع ... يدفن بلا رحمة ولا من يشفق ... لا يد تساعده ... ولا انسان يبصره ... أحيانا وأحياناً، تدخل القافلة في مناطق الرمال ... فتدفنها الرمال ... ولا يعود يسمع عنها شيئاً ... وفي هذه الصحراء المرعبة، والمخيفة معا ... سار الركب معتمداً على رحمة الله ...

في ارض الحجاز

وصل الركب آمناً الى المدينة المنورة . فبدأ القوم باقامة فريضة الحج . وعزيز يترنم بقول الشاعر :

« أمر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدارا وذا الجدارا »
« وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا »

ثم سار الركب ، ووجهته مكة المكرمة ... الى أن وصل الى طوى ، فاغتسلوا جميعاً من بئرها... وساروا من كدا ، وهي طريق بين جبلين ، وهبطوا على المقبرة الشهيرة ، لروضة أم المؤمنين خديجة ... حتى دخلوا الكعبة ، وطافوا حولها . مبتدأين من الحجر الاسود ، الى أن اختتموا به ، بعد سبعة أشواط ...

وبعد الزيارة ، دعاهم امير الحجاز ، الى خيامه ... وهناك قامت الافراح والمسرات بين القوم ، لنجاتهم من المرحلة الاولى .

وبينما كانت الحسناء جالسة بين القوم ، وهم يقومون بالذكر بطرق عصبية جنونية ، تكهربت . وبينما هي على هذه الحالة... مر امامها شخص رث الثياب ، ملوث الوجه بالاوساخ . وطلب منها حسنة ... تأملت مرمر في الرجل ، باستغراب ، حيث كان غريب الشكل لم يسبق لها ، أن رأت في الجبل متسول واحد ، ثم خاطبت نفسها بنفسها :

يجب أن تمحى لفظتي الكسل والاحسان ، من قاموس العالم واستبدالهما ، بلفظتي الواجب والعمل . والحسنة تولد الكسل والفساد . والواجب يولد العمل المثمر الناضج . ثم قالت للمتسول :

ـ ماهو العمل ، الذي تكسب منه قوت يومك ؟

ـ يجود علي الطيبين بمالهم ...

ـ حسن ، ولكن لماذا لم تعمل عملا نافعا ...

ـ اكتب حجابات ؟!

ـ اتكتب حجابات ، وتدعي الغيب ، وتستخدم الشيطان ، شيطان نفسك الامارة ... اليس كذلك ؟..

ـ والله لقد صدقت ياحسناء ...

ـ اسمع ياهذا ... وكان صدرها البارز ، يعلو ويهبط ، من شدة انفعالها، على حالة هؤلاء المساكين ، ثم قالت :

— من الخرافات ، ان تعتقد الناس ... أن للجن سلطان على اعمالها ... وان يؤمن الناس، بالحجابات والشعوذات ، ومعرفة الغيب ... فانا اقدم لك ، خمسين مدورة من الذهب، على أن تقوم في تجارة، يمكنك بها، أن ترضي ربك وضميرك . بالامانة والمعاملة الحسنة — والدين معاملة . ثم انزع ثيابك البالية الرثة، واغتسل — بالنظافة ، من الايمان ...

ـ ان شاء الله، سأكون عند حسن ظنك بي، وساخدم الحجاج بتجارتي خير الخدم ...

وكان الجمهور يسمع كلام الحسناء، كأن على رؤوسهم الطير ..
ثم انتقلت الى مضافة الامير ، وبرفقتها أخيها وحبيبها ... فاستقبلهم الامير خير استقبال . وبعد ان استقر بهم المقام، وجه الامير كلامه الى الحسناء قائلا :

ـ والله ياغادة الصحراء ، سوف لا تجدين ، في هذه البلاد، الا مدنية نائية ... ومدينة قحطاء ...

ـ لماذا يا أمير ؟ ... لنعرف أولا ما هو تعريف المدنية ...

تعريف المدنية : القناعة كنزلا يفنى. الصراحة في القول والعمل . الوفاء بالوعد . الرفق بالانسان . الاخلاص الاكيد . المعروف بالمعروف. والعدل أساس الملك ...وانه لا يجوز للانسان، ان يريق دم أخيه الانسان ؟ اليس كل هذا ، متوفر في هذه البلاد يا أمير ؟

ـ والله يا أميرة العرب، ان كلامك كله على حق . فالمدن التي افسدتها يد الاجنبي. قد جعلتها لا تشعر بالمدنية، الا بكثرة القاطرات وزيادة السيارات. والتنوير بالكهرباء. وبناء القصور. والتزيين بالالماس والادمان على المسكر. والاكل على فرنسي. وانشاء المراقص الخلاعية واعلان الحرية المزيفة . فضلا عن الكذب والغش، والمكر والخداع... حتى الرياء ... وهو الذي يسمونه الذوق العصري... فهذه المدنية

بعيدون عنها، بعد السماء عن الارض. وأما المدنية الصحيحة، فهي التي ، اشرت اليها في كلامك ...

ـ ما هي قوتكم الدفاعية ؟

ـ والله، أما القوة في نظر الغرب، فهي المدفع. الذي لا يعرف خليلا، ولا يصادق صديقاً . وأما عندنا، فهو السيف، الذي ينصف الحبيب، وينصر الضعيف، ويقول للخائن : لا يسلم الشرف الرفيع...

ـ وما هو الحق عندكم؟

ـ والله، فالحق هناك للمنتصر المغتصب . . . وأما هنا، فالحق للضعيف، المغلوب على أمره. وكلمة الحق: ان الضعيف متى كان على حق، أحب الموت على الحياة. ولا يرجع باذن الله، الا فائزا منصورا

ـ وما هو عدلكم ؟

ـ والله، أما العدل، فواسع النطاق يا أميرة ... فهناك يحكمون باشد العقوبة، على كل من يسرق ، كسرة من الخبز ليعيش ويطرحونه في اعماق السجون، فضلا عن حرمانه من الهيئة الاجتماعية . وأما كبار اللصوص، من المرابين والمحتكرين والمغتصبين، فيجلسونهم على اكبر المقاعد، ويلقبونهم باعظم الالقاب ... فضلا عن الامتيازات التي تميزهم ، عن باقي البشر، في الهيئة الاجتماعية ...

وأما هنا، فنعطف على لص، يدخل بيوت الاغنياء، ليسرق منها كسرة عيش، ليسد بها رمقه، ورمق عياله. ولكن، قد نحكم باشد العقوبات، حتى الحد الشرعي — قطع يد السارق — على اللص الغني، الذي يدخل منازل الفقراء، ليسرق مالهم وزادهم ...

ـ بارك الله، في هذه الارض المقدسة يا أمير ...

وقفة على جبل عرفات :

وبعد الاحتفال والغذاء، وتقديم العلف والماء، للجمال والخيل ركب الركب، قاصدا جبل عرفات .. والحسناء تناجي نفسها، بنفسها : ان حسدت الصبية، طيور السماء، على الوان رياشها الجميلة. وحسدت العجوز، زهرة الزنبق، على نضارتها وشبابها. فانا، لا أحسد هذه الارض المقدسة. وانما أرجو التفوق عليها، بالمدد الالهي، لانشاء حجاز جديدة، في العالم الجديد ...

وفي سكون الليل، بعد ان سكنت الاجسام في الكعبة، وصل الركب، الى جبل عرفات، في ليلة البدر. والوجوه زاهية كجوها، والقلوب منعشة كنسيمها... وهنا ظهرت حركة جديدة، في نظام

الركب. حركة دبرها الفارس غصوب، اذ أمر رجاله، ورجال الحارس والعصبة، ان يصطفوا على يمين الطريق وشماله . مشهرين سيوفهم ورؤوسها تقبل بعضها، ليصبح الركب با كمله، اقواس نصر، تجتازها الحسناء وعزيزها عزيز . وآخر الصفوف يتبعوهما ، مخترقين أقواس النصر ، الى ان يدركوا جميعا اعلى الجبل ... وقد ادرك عزيز ، موقفه المهيب . كما أدركت مرمر موقفها الجليل .. فسارا ... الى ان ادركا القمة لوحدهما . وقد تأخر الركب عنهما ، ليترك لهما الحرية لمناجاتهما ...

وهناك على القمة المقدسة ، نفخ بوق الحرية، والامانة، والاخلاص، يعلن زواجهما. ..

وهناك امام الله سجدا ، والطبيعة اقسما ، على أن لا يدخل بينهما، مشركا، ولا دخيلا . وان الارض ومن عليها وفيها ، موطن الانسان الكامل ـ ولا يكمل الرجل الا بالمرأة ...

ثم وقفا، على طور المناجات ، وقفة حضور مع الله ، وغيبة عما سواه ، من بني الانسان . وناجياه ، بعد زوال شمس الكون واشراق شمس المكون الاعظم ... فكانا ، وهما فوق عرفات ، كأنهما على طور سينا المناجات... متلهبان شوقا ، الى رضاء ربهما على مايفعلان ...

ثم دفعهما ، بعد غروب شمس افقه المبين ، بشروق شمس افقه الاعلى ، نارحبهما، نحوربهما ، حسا ومعنى ، ليكون ثالثهما..

ثم تسارعا ، في وقت ، ينزل الحق سحرا ، ليقتحما العقبة ، ومن جوارحهما ، المجترحة متبرأين . فيرميان حجرة العقبة . ويرميان مع كل حصاة ، جارحة من جوارحهما ، السبعة :السمع والبصر،والشم، والذوق، واللمس—فالقلب والفرج ... وبعد أن رماها عزيز ، شعر أن باب النار قد قفل ، وباب النور قد فتح (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) فاصبحا : نور على نور ...

شهر العسل بين الرياض

ثم تجددت قواهما ، اذ عادت الروح الى الجسد ، بعد طوافها ومناجات ربها . وبعد أن أعطى كل منهما ، مال الله لله... ولكل وقت حكمته ... تقدما ليعطيا ، مال قيصر لقيصر وهما منفردان ..

وهناك، سحرهما الجبل، بخضرته، ومائه ، وثماره. كما أذهلهما بسحر نسيمه ...

وهناك ظهرت من عزيز ، ابتسامات ، وسكنات . ثم حركات

فناجاة ... جعلت مرمر تتحداه ، بعد أن اخذتها سنة من النوم جعلتها في غيبوبة ، ولا غيبوبة التيه في الصحراء . فخلعت معطفها الحريري ... فشف عن ذراعين كالعاج . وثديين كالمرمر ... وهبطت من الصخرة ، على صدر حبيبها ، الذي كان ينبض ، ولا نبضات رنات العود . فتلقاها ، واخذها بين ذراعيه ، ورفعها الى مافوق صدره ، وقبلها قبلة حارة . وقال : هذه هي القبلة الاولى ، وهذه هي الرابطة الزوجية الحقة ... فهيامي ياعزيزتي ، في جبل عرفات ، هو هيامي بما يكنه الجبل ، من معنى الحياة ، وذكريات الحب . وها قد قرأت ، على تلاله ، فلسفة الحب ، من حواء الى مرمر ... والحب فحسب ...

وهنا خطرت الحسناء ، خاطرة . كهربتها ، من رأسها ، الى موطيء اقدامها . خاطرة تقلب التاريخ ، رأسا على عقب . خاطرة تجدد على هذا الجبل المقدس ، ذكريات آدم وحواء . ذكريات ، تعارفهما وحبهما ... الى أن ارادت ، فعمدت على تنفيذ خاطرتها فتقدمت الى عزيز ، عارية ... وشعرها الذهبي ، مسترسل فوق كتفيها ، يسترها الى ماتحت ... ووضعت يدها ، على شعره الاسود ، الجميل المموج . واخذته بين ذراعيها ، واخذها بين

ذراعيه ... وقبلته وقبلها ـ قبلتان... هما عهدهما المقدس ... عهد الدرزية الحسناء ، وبطلها العزيز ... عزيز وادي النيل ...

ثم سترته بشعرها ، ليمثلا أعظم العاشقين في التاريخ ... وقدمت له تفاحة حواء ... فتقبلها شاكراً ... حيث كانت لهما : زادا جسديا ، وحياة روحية ، جديدة ...

كما كانت لادم وحواء ، حياة لهما ، ولنسلهما — القديم والحديث ...

وهنا انتقلا ، بروحيهما ، الى مافوق الافق الاعلى ، فرأيا الدنيا كلها ، في صورة عجوز شوهاء ... وهما ... وهما وحدهما ، في رياض ، كله : غرام وهيام ـ علامتهما : ماء وهواء وبهاء ...

فعلى جبل عرفات ، عرف آدم حواء... وعلى تلال الحب ، عرف عزيز : الدرزية الحسناء ...

. . . . . .

في ارض الحرية :

وبعد انتهاء ، شهر العسل ، بين رياض الجبل . قصدا جدة وبرفقتهما الركب ، ومن هناك ، عاد الركب الى جبل الدروز .

والدموع الصامتة ، كانت خير معبر ، عما تكنه أفئدتهم ، من اللوعة والالم ، على فراق الحسناء ...

ثم اعتلى ، كل من عزيز وهرمر ، وغصوب وأمه ، والفارس الاسود متن الباخرة ، التي أقلتهم جميعاً ، الى الديار المصرية ...

ومنها أبحروا ، من ثغر الاسكندرية ، الى ما وراء البحار ... الى العالم الجديد... الى الحرية والحياة... الى الجمهورية الفضية... التي تحررت حديثا ... ورفعت علمها الوطني ، بين أعلام الدول العظمى ... ولم يبتعد عزيز ، عن ربعه ، وينفرد بهرمر ، على ظهر الباخرة ، حتى طوق الحسناء بذراعيه ، وصاح باعلى صوته قائلا :

من السويداء ، ظهر نجم الدرزية الحسناء ، وليد التقاليد النائية..
وعلى سفح جبل عرفات ، عرفت النجم كاملا ، زاهياً بالمحبة...
وفي وادي النيل الفياض ، سطع نوره المقدس ، باشعة الرياض النامية.
هنالك ظهر وغاب . وهناك ازهر وأحب . وهنا بهر وجاب ...

فرفعت الحسناء رأسها ، الى الرفيق الاعلى ، متضرعة شاكرة وقالت:

اذا كان حب الآخرين ، أوله حلو ، وآخره مر . فحبنا كان اوله نار ، وآخره ، نور على نور ...

القاهرة ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٠

جميع حقوق الطبع والترجمة والتمثيل والسينما محفوظة للمؤلف

كلمة الناشر

اذا اراد الانسان ، أن يقوم بعمل مثمر ، وجب عليه الاتقان . لهذا ، بعد أن فشت الامراض الاجتماعية ، وتفككت عرى الزوجية ، وتاهت الشبان والشابات ، في معترك هذه الحياة . كالسفينة في وسط محيط ، احاط به الجماد ، والكل يتساءل : هل تتفضل الطبيعة ، فتدك الجبال الثلجية ، من حواليها دكا ـ لتسيل ، وتسير آمنة مطمئنة ، الى ميناء السلام . أو تقسو . فتتركها فريسة الاهواء ، في ذلك المحيط المخيف . . . ولهذا طلبنا من حضرة الاستاذ البحاثة السيد حنا ابي راشد صاحب « الرحلة الشرقية العامة » والمؤلفات القيمة أن يتحفنا ببعض ابحاثه الجليلة ، ونظرياته العامية العملية الحادة ، التي صاغها في قصص كاملة ، مما اختبره برحلاته الواسعة ، عن عظماء الامم وصعاليكها ، كبيرها وصغيرها ، شيخها وفتاها . وصورها ، تصويراً اجتماعياً تاريخياً . أظهر فيها ، تجليات ـ مظهرها داء ، وباطنها دواء . كما أزاح الستار عن غثها وسمينها ، صالحها وطالحها : متخذاً ناحية الاصلاح ، ما استطاع اليه سبيلا ، في هذا الزمن ـ زمن العجائب والغرائب ـ حتى لا تلهو ، الشبان والشابات ،

الأحداث والشيوخ ، بالقشور دون اللباب ، والتمسك بالعرض دون الجوهر . وحتى لا تلعب بنار اللهب ، وتترك نور الحب ...

وعليه ، فبا كورة أعمالنا ، تقديم السيد الاستاذ للقراء الكرام كما قدم السيد الرحالة لنا ، وللمجتمع الانساني با كورة قصصه :

الدرزية الحسناء

أميرة الصحراء وآلهة الحب والحرية ...

خليل سابا

مدير مكتبة سابا ومطبعتها

والمكتبة :

مستعدة لتوريد مايطلب منها من الكتب بأنواعها بسرعة متناهية وبغاية الاتقان بالعمل وحسن المعاملة . كما تتولى نسر كتب المؤلفين في الداخل والخارج وشعارها :

عزيمة ثابتة وارادة حية

والمطبعة :

تطبع كل ما يطلب منها طبعه بمواعيد محدودة وشعارها :

الصدق والامانة

قصص الرمالة الشرقية

لمؤلفها

حضرة البحاثة (الرحالة)والكاتب الاجتماعي المفكر

جنا ابي راشد

تعتني بنشرها وطبعها

مكتبة سبأ ومطبعتها

الاولى : **المرزية الحسناء**

الثانية : فتاة عامرى

الثالثة : غادة العراق

الرابعة : رئيسة الوهابية

obeikandi.com

الخامسة : أميرة النيل

السادسة : تريا سوريا

السابعة : التركية الفاتنة

الثامنة : زهرة ايران

التاسعة : وردة الصين

العاشرة : اليابانية الساحرة

الاحدى عشر : الورقة البرمائية

الاثني عشر : البرمودية المزيفة

الثالثة عشر : المسيحية التائهة

الرابعة عشر : المسلمة المتصوفة

الخامسة عشر : ملكة الجمال

كل سفر هو الأول من نوعه * وكل قصة كاملة بذاتها وراءها جميعاً، فلسفة الحب. مدبجة، بقلم سيال، وفكر عبقري

شعارها :

الرجل رأس المجتمع الانساني، والمرأة قلبه ... والويل لمن لايحترم لب المرأة، ويحتفظ به ...

(جميع الحقوق محفوظة للمؤلف)

مميزات هذه التحف

١ — تدريب المرأة الشرقيـة ، على أحدث التطو
الحديثة ، وتوخيها أسمى المباديء الاجتماعية .
٢ — استقلالها الفكري ، وشذوذها عن السخافات ، والتقـ
العتيقة ، وتوحيد الجامعة الانسانية ...
٣ — عنايتها ، باغرب الحوادث التاريخية ، مع اختيار أد
المساجلات الغرامية ، على مبدأ : لا يكمل الرجل الا بالما
٤ — رفع مستوى الفتاة الشرقية ، وتنويرها ، للوصول
الى الكمال الاكمل ، في الحب والواجب ...
٥ اتقان طبعها ورموزها ، بنزاهة ومحبة واخلاص ...

وكل منها

مستقلة بروحها وشكلها وأسلوبها :

تميز الفكرة

قلمها

قلم رحالة — سداه ، دم المرأة . ولحمته ، دموعها ...

قرطاسها

بساط الامم المغلوبة على أمرها ، ونسيجه : نور على نور ...

لبابها

حب فجمال فالوهية

وهي

ذخيرة في جيب ، شباب القرن العشرين

يتفرى بمطالعتها

قبل السيدات ، والفتيات قبل الفتيان ، والخاصة قبل العامة

obeikandl.com

انتظروا تحفة الهند

التحفة الثانية

فتاة غاندى

الاشتراك:

بالتحف الثمن

فتاة غاندي — اثني عشر قرشاً صاغا

غادة العراق

ربيبة الوهابية — خالصة أجرة البريد

قبل الطبع

obeikandi.com